روبرتو منيز محمود

محمود الأرجنتيني

مذكرات مجاهد لاتينو-أمريكي في صفوف الثورة الجزائرية

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

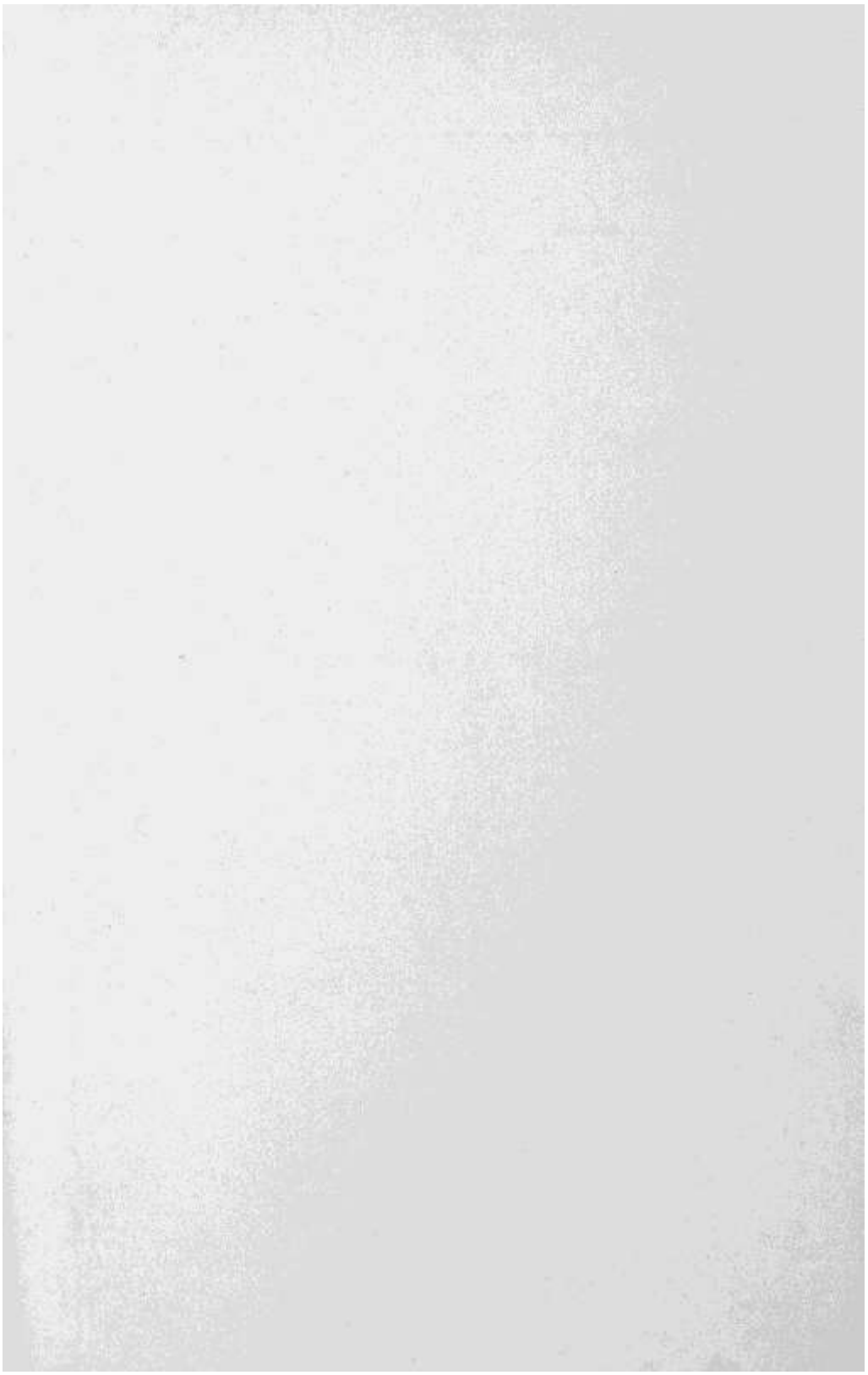

روبرتو مونيز محمود

محمود الأرجنتيني

مذكرات مجاهد لاتينو - أمريكي في صفوف

الثورة الجزائرية

– الإيداع القانوني : 2009/579
– ردمك : 0–94–846–9961–978

الاهـداء

أهدي هذا الكتاب إلى زوجتي التي تركتها وحيدة في الأرجنتين طيلة ثلاث سنوات.

إلى كل الإخوة الذين شاركوا في صناعة الأسلحة من أجل الثورة الجزائرية.

أشكر السيدة ليلى بوكلي، جمال عمراني، و كذا رابح حنيش على مساعدتهم.

أخيرا أعتذر لكل الإخوة الذين لم أتمكن من ذكرهم في هذه الشهادة.

روبرتو مونيز

(محمود)

تـقديم

إنّ لإندلاع الثورة التحريرية وتحقيقها الانتصار ضد المستعمر الفرنسي أكسبها تطورا سياسيا ملحوظا تجلى في التأييد الديبلوماسي الذي حضيت به على المستوى الداخلي والخارجي وتأكد ذلك منذ انعقاد مؤتمر باندونغ في أفريل 1955 حيث أيد المؤتمرون عدالة القضية الجزائرية وطالبوا بإدراجها في هيئة الأمم المتحدة. وغدت القضية الجزائرية محلّ نقاش في جلّ المؤتمرات والمحافل الدولية، وفي أروقة الأمم المتحدة.

واستطاعت الثورة التحريرية كسب المساندين، والمؤيدين والمتعاطفين من مختلف الشّعوب والجنسيات وحتّى من بين الفرنسيين أنفسهم، ولعل شبكة جونسون، وحملة الحقائب، وموريس أودان، وفرانز فانون، وشبكة المحامين، والأطباء... وغيرهم خير دليل على ذلك.

ووصل التأييد الشعبي والمساندة أبعد مناطق العالم، في أسيا وأمريكا اللاتينية، والمذكرات التي نقدمها اليوم لواحد من أولئك الذين سحرتهم عدالة القضية الجزائرية فقطع ألاف الكيلومترات تاركا الأهل والأحبّة، لينضمّ إلى

صفوف المجاهدين الجزائريين، في ورشات تركيب السلاح بالقواعد الخلفية للثورة وأكثر من ذلك، فضّل البقاء في الجزائر بعد الاستقلال على العودة إلى بلده الأصلي "الأرجنتين " فاحتضنته الجزائر المستقلة كما احتضنته الثورة التحريرية.

وإذ ننشر اليوم هذه المذكرات للسيد محمود "روبرتو مونيز" باللغة العربية فإننا نسعى إلى إظهار الأبعاد العالمية للثورة الجزائرية من جهة، ونقدم عربون وفاء وتقدير لكل من ساهم في تحرير الجزائر، من براثن الاستعمار من جهة أخرى، وليس ذلك بغريب على جزائرنا التي أصدرت قانونا خاصا لتثمين جهود هؤلاء، وشحنتهم "بوسام أصدقاء الثورة"

وأخيرا، خالص التشكرات والتقدير للسيد محمود، روبرتو مونيز على مساهمته في الكفاح رفقة أخوانه من المجاهدين الجزائريين، وعلى تفضّله بتدوين هذه المذكرات ليطّلع عليها الجيل الصاعد.

مدير المركز

د. جمال يحياوي

الكاتب

ولد روبرتو مونيز في الأرجنتين في 17 جويلية 1923 وسط عائلة بسيطة. كان أبوه فلاحا و كان روبرتو خامس الأولاد ضمن عائلة تضم سبعة أبناء.

بعد مزاولة تعليمه الابتدائي والمتوسط في بلدته، تابع تكوينه كتقني في *الضبط* بمدرسة للفنون والحرف. في سن الـ 18 غادر المدرسة بشهادة اختصاص قوالب المعادن. وجد روبرتو بعدها عملا على بعد 2500 كم من بيته، جنوب البلاد، ولم يعد إلى مسقط رأسه إلا لأداء الخدمة الوطنية.

استقر مونيز بعد ذلك في بيونس ـ إيرس أين مارس حرفته ضمن مؤسسات كبيرة. في نفس الوقت، نشط في الحركة العمالية. في هذه الفترة شدت انتباهه القضية الجزائرية، التي عرفت سنة 1956 صدى دوليا، قام روبرتو بنشاط للتحسيس في الأوساط العمالية التقدمية لصالح استقلال الجزائر قبل أن ينضم سنة 1959 إلى صفوف جيش

التحرير الوطني، في مجال اللوجيستيك (صناعة الأسلحة والذخيرة).

بعد الاستقلال قرر الاستقرار في الجزائر أين لحقت به زوجته، وحصل على الجنسية الجزائرية بعد مرور سنة. تفانى هو وزوجته في إعادة بناء الجزائر. هو اليوم متقاعد من وظيفته في الشركة الجزائرية للكهرباء والغاز، مواصلا كفاحه النقابي ضمن الاتحاد العام للعمال الجزائريين وهو ينشط ندوات حول تاريخ الثورة الجزائرية. بالموازاة، يقوم بكتابة أشعار، يؤديها خلال حفلات رفقة إبنه محمود ومجموعة من الشباب.

تـقديم (الطبعة الفرنسية)

لقـد صـنعت وأنتجـت الجزائـر أسـلحتها الخاصـة قبـل الاسـتقلال واسـتعملتها ضـد العـدو. محمـود مـونيز، الملـم بهـذا الموضـوع، يحكي.

بعد عدّة سنوات، فإنّ روبرتو مونيز، المدعو محمود، من أصل أرجنتيني المولود سنة 1923 في جينيرال فيلقاس (مقاطعة بيـونس إيـرس)، في أسـرة فلاحيـة بـسيطة، يلقـي نظـرة علـى سنوات مشاركته في الثورة التحريرية.

كان هناك حديث كثير حول شبكات المساعدة لجبهة التحرير الوطني (جونسون و كوريال)، عن "حاملي الحقائب"، عن المساعدة المقدمة لكفاحنا من طرف القساوسة الناشطين (قضية رئيس الدير بودوراسك والشهادة المؤثرة لروبرت دافيزيس)، لكن لم يسبق وأن ذكرنا النشاط السري لأجانب آخرين قادمين من كل الجهات، الذين وضعوا إيمانهم وذكاءهم في خدمة الجزائر المكافحة، خاصة في مجال صناعة الأسلحة والذخيرة.

كان ممتهنا ثم عاملا في ورشات الصناعة الحديدية، مناضلا ضمن نقابات الحركة العمالية الأرجنتينية، واكتشف محمود في سن الثلاثين كفاح وقضية الشعب الجزائري وتبنّاها حتّى النخاع.

بدون أية عواطف، تسعى هذه الوثيقة الجادة إلى تقديم توضيحات حول جانب من تاريخ كفاحنا، هذا الجانب، يمكننا القول، كان منسيا كلية. وسيقص علينا الكاتب هذه المغامرة المشوقة.

نحن بصدد دخول عالم مغلق ولكن فروعه كثيرة – في تلك "الورشات" المرتبطة بمصيرنا، بانتصارنا.

يرتكز هذا العمل، غير الطموح، ولكن ذو الطابع الوثائقي، والمكتوب بدقة، عدّة عناصر تجمع بصفة منسقة بين وصف وذكر المواقع (سوق الأربعاء، بوزنيقة، تامارا في سخيرات بالمغرب) وبين بعض ذكريات الكاتب، على وقائع حقيقية. يرفع محمود الستار عن هذه الحلقة من تاريخنا التي لم يسبق وأن رُويت. لقد قرر بلهجة صافية ومعتدلة، الإفصاح للرأي العام عن معلومات ذات أهمية كبرى.

جمال عمراني

كاتب

مقدمة

لقد تساءلت مرارا لماذا وكيف وصل بي الأمر إلى المشاركة في الثورة التحريرية الجزائرية.

توجّب علي، حتى أتوصل إلى إجابة، أن أرجع إلى الماضي؛ حياتي العائلية، علاقتي مع أبناء الحي الذي نشأت فيه، دراستي في المدرسة الابتدائية والمتوسطة وأخيرا المناخ الذي عرفته كممتهن في السكك الحديدية منذ سن العاشرة.

من المؤكد أن اتصالي المباشر واليومي في هذه الفترة مع عمال بالغين، و جلهم مغتربين إسبان عايشوا وأحسوا من بعيد نكبات الحرب في اسبانيا (1936– 1938)، كل ذلك ساهم في تنمية شخصيتي و تسبب في التزامي بمساندة المضطهدين أينما كانوا.

تميزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بحركات تحررية في كل القارات. تابع المناضلون التقدميون بقلق وانتباه التطور السياسي واعتبروا كل فوز أحرزه شعب في العالم على أنه انتصار لهم.

وبهذا، وإضافة إلى تكويني العام، ساعدتني تجربتي وتدريبي السياسي ضمن حزب العمال على تجسيد اعتقاداتي الشخصية.

وعليه لم يطرح انضمامي إلى جيش التحرير الوطني الجزائري (مصلحة اللوجيستيك) أية مشكلة. لم اعتبر لا اللغة ولا الدين كعائق لأنه وحده الاستقلال الكامل للجزائر كان يهمنا.

لن أتحدث عن تجربتي الخاصة بداعي المثالية أو الديماغوجية، ولكن لكون ذكريات هذه الفترة من تجربتي بقيت راسخة و حية في ذاكرتي، بعد أكثر من ثلاثين سنة من وقوع الحوادث التي سأحكيها.

بعد زمن قليل من الاستقلال، سنة واحدة بالتحديد، اكتسبت الجنسية الجزائرية بصفة طبيعية – مثلي مثل أي جزائري– بنفس الحقوق، نفس الواجبات ونفس المسؤوليات ضمن التنظيم الذي جندت فيه. هكذا واصلت نضالي ضمن جبهة التحرير الوطني، في نقابات الاتحاد العام للعمال الجزائريين و بالتحديد في نقابة الشركة الوطنية للكهرباء والغاز، في وحدة المركزية ميناء الجزائر II.

أتمنى أن يستغل هذا الكتاب كشهادة من طرف الأجيال القادمة ويمنح للأجيال الحالية نظرة حقيقية لجانب آخر من التاريخ النضالي لتحرير الوطن.

تجمع من أجل القضية الجزائرية بالأرجنتين

المؤلف فوق المنبر

إضراب الـ 45 يوما

ثلاثة أيام بعد سقوط بيرو (1955)، أطلق عمال المناجم إضرابا وطنيا عاما دام مدة 45 يوما. انتهى هذا الإضراب بحصول العمال على مطالب عديدة وكان دليلا كافيا على قدراتهم الكبيرة في التنظيم والتعبئة.

قبل اندلاع الإضراب في نفس السنة، بعث لي حزب العمال الذي انتمي إليه، وأنا في قرطبة، من أجل تنظيم الحزب في هذه المدينة التي تعتبر مدينة صناعية تأوي طبقة بروليتارية شابة ومكافحة.

لم أتمكن من الحصول على عمل إلا في مصنع صغير، لأنني كنت مناضلا معروفا في ميدان المناجم ومسجل في القائمة السوداء الخاصة بالمؤسسات الكبرى، هذا ما جعل مدير المؤسسة التي كنت أعمل بها و التي كانت تضم 40 عاملا يظهر تخوفه وحذره مني كونه لم يستطع معرفة سبب قدومي و العمل في هذه المدينة، كما أن تخصصي يؤهلني إلى منصب أكثر أهمية. لم يتمكن صاحب العمل من معرفة سبب

قدومي للعمل في مصنعه الصغير رغم أن مهنتي مطلوبة في العاصمة. وظفني رغم ذلك لأنه كان بحاجة إلى عمال اختصاص قوالب.

لم يأخذ تنظيمنا وقتا طويلا، و بعد شهر و نصف من استلامي لمهامي، خلال جمعية عامة، تم طرح مجموعة من المطالب لتحسين ظروف العمل. كان علينا انتخاب ممثلين، إذ بدونهم، لم يكن من الممكن إسماع صوتنا لدى الرئيس. تم انتخابي مع زميل لي في العمل.

باكرا وفي صباح الغد، أرسلت المديرية الجهوية للنقابة، كما جرت العادة، برقية إلى المصنع تخبر فيها الرئيس بأحداث البارحة و تعلمه بأسماء الممثلين المنتخبين.

كان رد فعله سريعا، إذ ناداني و أنبّني قائلا:

- "كيف أصبحت ممثلا للعمال ؟ أنت لا تعرف! لقد أدركت أنك جئت هنا لإثارة المشاكل"، و أضاف هامسا، "لقد صدقت توقعاتي".

- فأجبته: "سيدي لا أريد أن أخيّب ظن زملائي الذين انتخبوني أنا ورفيقي في العمل، لنحاول إيجاد حلول لمشاكلهم العديدة، هنا في المصنع".

- فردّ علي: "عن أي مشاكل تتحدث؟ لا توجد مشاكل هنا! العمال عندي يعاملون بطريقة جيدة".

- وأجبته: "لو لم تكن هناك مشاكل كما تقول، لماذا انتخبنا العمال وما هو سبب تصرفك بهذه الطريقة؟"

- فأجابني: "أنتم النقابيون الذين تُثيرون المشاكل. تعدون العمال بحياة أفضل وما شابه ... لن أسمح بهذا في مصنعي".

ثم ضيع الرئيس صوابه و أضاف مهددا:

- "هل تسمعني، لن أسمح بذلك، إعلم أنني لن أكرر ذلك مرة ثانية!!"

فأجبته بتهكم:

- قلت له: " يجب أن لا تنفعل يا سيدي، قد يصيبك المرض".

- وردّ بنرفزة: "أفعل ما أشاء! لن يقرر عامل صغير مثلك مصير مصنعي!"

بضعة أيام بعد هذه المواجهة، وافقت المديرية على استقبالنا لنسلمها مطالبنا.

- وردّت على مطالبنا "سيتم دراستها وسيصلكم رد خلال عشرة أيام".

طبعا، منح الرئيس نفسه وقتا لاستشارة أصحاب مصانع أخرى أكثر تجربة في هذا الميدان.

انتشرت حركتنا انتشار بقعة الزيت. انضمت إلى مطالبنا كل نقابات الحرفيين. وأسفر هذا التضامن عن إضراب عام وطني دام خمسة وأربعين يوما.

وكان أكبر نزاع مع مجموع أرباب عمل الصناعات التعدينية، إحدى أقوى النقابات في البلد، وفي حين كنا نطالب بالزيادة في الأجور، كانت الجهة الأخرى تريد الحديث عن اتفاقية جماعية.

كنت ضمن اللجنة المحلية للإضراب والمقاطعة. كانت مهمتنا تنظيم الإضراب في كل مدينة وقرية، علما أن نشاطنا الأساسي كان مركّزا في العاصمة، إذ أنه في اللحظة الأخيرة، استطاع عمال المراكز الصناعية الكبيرة التأثير بثقلهم على النتيجة النهائية للنزاع.

تم تنظيم لجان للإضراب في كل المؤسسات، كما كانت المعلومات حول تطور النزاع تتداول بشكل دائم. تمت مراقبة عمل لجان الإضراب في المؤسسات. كان علينا منع معارضي الإضراب من الذهاب إلى العمل؛ أثناء المواجهات جرح رفيق لنا رميا بالرصاص من طرف أحدهم. أخذ إلى عيادة أين تم التكفل به على عاتق النقابة.

بالموازاة، قامت مصلحة الصحافة بإصدار منشور لإعلام العمال بمدى تطور النزاع، و عقدت جمعيات عامة ظهرا في مقر النقابة.

لجـان التـضامـن

كلفـت النقابـة، التجـار و الجمعيـات الخيريـة بجمـع التبرعات في الأحياء و مصانع الحرف الأخرى، لتنظيم مائدة شعبية للإطعام المجاني لصالح العمال و عائلاتهم.

وهكـذا في سـنة 1959، وبعـد خمـسة وأربعـين يومـا مـن الإضراب، انتصر عمال الصناعات التعدينية المتضامنين فيما بينهم.

خـلال جمعيـة إعلاميـة حـول نتـائج النـزاع، أخـبرت النقابيين أنه علي العودة إلى العاصمة بيونس إيرس لأسباب عائلية (في الحقيقة كانت الأسباب أمنية). لم يكن بمقدوري أن أشرح لهم حينها ما هي نشاطاتي المستقبلية.

التحضيـر للسفر إلى الجـزائـر

أقمت مدة شهر في بيونس إيرس مع زوجتي. خلال هذا الشهر، ساهمت قراءتي للوثائق السياسية والمناقشات العديدة التي قمت بها ضمن الحزب في تحضيري للتشبع أكثر بالمهمة الجديدة التي تنتظرني. مع أنها مهمة ذات طابع تقني إلا أنه كان لها بعد سياسي عميق. قبل كل شيء كان علي فهم الطبيعة الخاصة للثورة الجزائرية ومسارها العام.

كان حزبنا يقوم بنشاطات هامة لمساندة كفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، في حين، كنت سأشارك أنا في هذا الكفاح مباشرة.

بعد هذا الشهر الذي قضيته في بوينس إيرس حان موعد الذهاب. كنت على علم أنه يجب الاستعداد للعيش في محيط مخالف لمحيطي والتأقلم مع عادات وتقاليد شعب لا أعرفه إلا عن طريق الكتب والروايات.

إضافة إلى كون هذا السفر يعني بالنسبة لي، أنا الذي لم أغادر يوما بلدي (باستثناء إقامات متكررة وقصيرة في أوروغواي)، أنني أقبل الابتعاد عن رفقائي وفراق زوجتي وعائلتي ومحيطي العائلي.

لكن ما ساعدني على تحمّل ثقل هذا السفر كوني عشت مدة طويلة بمفردي إضافة تعليمي ونضالي الطويل، واعتقاداتي الشخصية.

كما سمحت لي نفس هذه المعطيات بعد استقلال الجزائر بالاندماج الكامل في عملية تحول المجتمع الكولونيالي الجزائري إلى مجتمع انتقالي نحو مجتمع اشتراكي.

لقد فتح لي هذا السفر ابواب العالم. فأول محطة كانت أوروبا التي حللت بها سنة 1959. أين اغتنمت فرصة إقامتي مع رفاق آخرين لتسوية أمور سفري إلى المغرب للإلتحاق بورشة صناعة الأسلحة لجيش التحرير الوطني الجزائري من الاطلاع على الأجواء الأوروبية السائدة في الخمسينات.

الـــوصـــول

بعد الانتقال من أوروبا وجدت إذن نفسي صباح يوم من الأيام في مطار الدار البيضاء أنتظر الشخص المكلف بالاتصال بي: وكان محافظ المطار. أخذ هذا الأخير حقيبتي وطلب مني أن أتبعه إلى غاية سيارة كان بداخلها فدائيون جزائريون.

عبّرت لأحدهم، وكان يتكلم اللغة الاسبانية، عن دهشتي من اختيار وسيلة النقل.

وسألته متعجّبا:

- "هل أنا موقوف؟"
- فردّ علي:
- " لا، ولكنها الطريقة الوحيدة لتجنّب لفت انتباه الضباط يا أخي"
- "لقد طمأنتني، لقد كنت أفكر في كيفية للتخلص من هذا الأمر، الآن حالتي أحسن، فلننطلق".

فكانت هذه البداية أول تجربة لي عن ما يمكن أن تكون عليه الثورة خارج النظريات.

الاتصالات الأولى

تلك الليلة، سارت السيارة بسرعة لتصل إلى مزرعة صغيرة ليس ببعيد عن الرباط. في الحقيقة، كانت هذه المزرعة الصغيرة تأوي ثكنة لجيش التحرير الجزائري. من الآن فصاعدا، يصبح هذا المكان مقرا لنا به نعمل، ندرس، نأكل وننام. كان الرفيق إنريكي قد سبقني إلى عين المكان. وقد رافقني إلى ساحة ما لبث أن انبعث منها صياح ملأته الفرحة والأخوة تعبيرا على وصولي وانضمامي إلى جيش التحرير الجزائري. كنت متأثرا، وحاولت جاهدا أن أعبر عن شعوري. كان ذلك صعبا، لم أكن أتكلم كلمة واحدة من الفرنسية ولا العربية. مما لا شك فيه أنني أتذكر هذا الاستقبال الحار إلى حد الآن.

ويم، ماكس، بروش الهولندي، تييو اليوناني، كانوا كلهم هناك، إضافة إلى كل الرفاق الأوروبيين، الذين وصلوا قبلي، وعليه كانوا قد تعودوا على الأحد، يوم الراحة الأسبوعية.

بالطبع، من غير المعقول بالنسبة لي، وأنا كلي حماس، أن أطيل النوم يومها، وعليه نشطت على تنظيم عملي.

قلت للمسؤول مراد:

- "إسمع يا رفيق، لقد جئت هنا للعمل وليس للراحة. ماذا يكمنني فعله؟".

- " تمتع بهذا اليوم من الراحة".

- "أنا أريد أن أبدأ الآن".

- "حسنا، تعال معي، سأعطيك مخطط القالب لتتمكن من دراسته ذهنيا، اتفقنا؟"

- "حسنا".

هكذا بدأ عملي الأول للثورة الجزائرية من أول يوم وصلت فيه إلى المغرب والتحقت بصفوف جيش التحرير الجزائري (مصلحة صناعة الأسلحة).

كانت الوسائل التقنية المتوفرة لدينا حينها بدائية. لم يكن لدينا لا الفرن ولا المسبك لتسخين القطع التي ننجزها. أتذكر أن القطعة الأولى التي كان علينا تقويتها قمنا بتسخينها في موقد للجمر، صنع من خزان قديم سعته خمسون لترا هيئ

بالمناسبة. كنا نستعمل فحم الكوك وكنا نحركه لاستعمال الهواء الطبيعي بحد أقصى. كانت إقامتي في هذه المزرعة قصيرة ولكنها جد إيجابية.

في هذه الفترة، أرغمتنا الإختلافات حول عملية التصنيع والتي كانت تخل بعملنا التقني، دون أهمية طبعا، على عقد اجتماعات لتبادل الأفكار بين الرفاق الأوروبيين. أكبر عائق طبعا كان اللغة. أنريكي (عيسى) و أنا كنا نتكلم الاسبانية. عيسى وواحد من الرفاق الهولنديين "ويم"، كانا يتكلمان قليلا الألمانية، وعليه عندما كنت أتكلم، كان عيسى يترجم إلى الألمانية وكان ويم يقوم بالترجمة إلى الهولندية بدوره. عندما يأخذ رفيق هولندي الكلمة، كانت شبكة الترجمة تعمل بالطريقة العكسية.

أما الرفيق اليوناني فكان لا يفهم إلا بالإشارات. وعليه فقد كانت اللغة هي أكبر معاناتنا. لم تنته معاناتنا إلا بعد شراء قاموس فرنسي- يوناني. أفقدتنا هذه العوائق "اللغة" وقتا طويلا، إضافة إلى مساوئ الفهم الناتجة عن عدم استعمالنا للغة واحدة.

كان علينا تعلم الفرنسية، باعتبارها أسهل وأسرع لغة يمكننا تعلمها. تقريبا كل الجزائريين يتكلمون الفرنسية أو يفهمونها. فهي إذن القاسم المشترك للتفاهم مع الجميع.

عمل عدد كبير منهم (الجزائريون) في فرنسا. حتى أن بعضهم كان يتحدث الاسبانية التي تعلمها في مزارع المستوطنين. الأقلية التي لم تكن تحسن الفرنسية كانوا مكلفين بالأمن. كانوا محاربين شرسين من أصول ريفية، يحملون بداخلهم طيبة كبيرة. كما أنهم يعبرون عن مشاعر أخوية لم أرى مثلها من قبل. كانوا يجتهدون لفهمنا. في أغلب الأحيان كنا نخاطبهم بالإشارات وهم يحاولون التعبير لنا عن شكرهم لما نقدمه من دعم معنوي وسياسي أكثر منه تقني.

أخبرونا أنهم يتفهمون جيدا شجاعة الأشخاص الذين جاءوا من قارات بعيدة، يجهلون لغة و تقاليد المحيط الذي اختاروا القدوم إليه. أهم شيء بالنسبة لهم هو أن هؤلاء الأشخاص يفهمون كفاحهم ويشاركون فيه. كانوا يحترموننا كما نحن، ويظهر عليهم تفهم، ذكاء، وقدرة على التنظيم لاستعمال كل القوى النافعة لتطوير وانتصار الثورة.

فـي مـزرعـة بوزنـيـقـة

غيّرت إقامتنا في ضيعة بوزنيقة طريقة حياتنا. نظرا لأننا أصبحنا أكثر عددا وتنظيما. استطعنا هناك خلق حياة ثقافية، إقامة مكتبة، تنظيم ألعاب. نظمنا مقابلات في كرة القدم، وتمكنا من بعث حيويتنا في المزرعة، وقمنا بتنظيم مسرحية. كل هذا حتى نتمكن من قضاء الأيام، الأسابيع والأشهر التي كانت تمرّ ببطء، إلى جانب حرصنا على إتقان عملنا في ورشة السلاح.

حياة الجندي صعبة، خاصة إذا كان صغير السن، في حدود عشرين سنة، صعب جدا أن تخاطر بحياتك في كل معركة، يتوجب علينا التنقل من مكان إلى آخر على الأقدام لمسافات كبيرة حتى نحافظ على الاتصال مع السكان الذين قدموا لنا الدعم، والذين بعثوا فينا روح الحماسة والثقة. نعم، الحياة صعبة بالنسبة للمحارب، ولكن بعد كل لقاء مع السكان، يصبح المحارب أقوى، أكثر ثقة بنهاية قضيته. الحياة التي كنا نعيشها في المزرعة كانت مجهدة نوعا ما لأننا كنا مكلفين بصناعة الأسلحة في السر. لم يكن بمقدورنا لا الخروج ولا

الاحتكاك بالسكان. زيادة على ذلك كان العمل روتيني، والشعور بالرضا عند الانتصار لا يدوم إلا لفترة قصيرة، تلك هي الحياة العسكرية.

مرّت الأيام، الأشهر والسنوات دون أن يأتي أشخاص غرباء آخرون إلى المزرعة. كان تحمّل ذلك الأمر جد صعب علينا، خاصة بسبب بعدنا عن عائلاتنا التي تركناها منذ مدة وانقطاع الاتصال وغياب الأخبار حتى أنّه بعد الاستقلال وجد الكثير أقارب لهم، في حين أنهم كانوا يحسبونهم في عداد الموتى بسبب غياب أخبارهم.

سنة 1961 توفي رفيقان لنا، لم يبلغا سن العشرين، ولم يسقطا في ساحة المعركة ضد العدو ولكن توفيا أثناء أدائهما الواجب لمصلحة الثورة. كان حميد يعمل بشكل مؤقت في فرقة مكلفة بتفكيك القنابل اليدوية المسترجعة؛ كان هذا العمل ينجز بالتواتر، يقوم حميد بتفكيك مكونات القنبلة (cuillère-percuteur)، بعد أن يقوم شخص آخر بتفكيك المفجرة (détonateur).

المؤلف رفقة : سعيد وأحمد

يقومون بتركيب السلاح

في ذلك اليوم، مع نزعه للشكة (goupille) لإخراج الملعقة (cuillère) التي تثبت القادح (percuteur)، أحسّ حميد أنه فكك القنبلة لأن المفجرة (détonateur) كانت ما تزال في مكانها. لم يكن لدى حميد سوى أربع ثواني للتخلص من القنبلة قبل انفجارها.

- أهربوا، ستنفجر القنبلة! صرخ حميد.

نصف ثانية بعد فرار الرفاق، رمى حميد القنبلة أرضا. انفجرت هذه الأخيرة وأصابت حميد شظية في عنقه. هكذا نزف حميد كل دمه أمام مرأى من الأشخاص الذين أنقذ حياتهم وفارق الحياة وهو يؤدي واجبه.

مات محاربا ليعيش عشرون آخرون، إنّها التضحية الحقيقية. مات حميد ضحية الواجب لصالح استقلال الوطن.

الرفيق الآخر، محمد، كان مكلفا باختبار جاهزية القنابل اليدوية من الناحية التقنية. لهذا الغرض تم حفر حفرة عمقها حوالي متر محاطة بكومة من التراب تستعمل كحاجز وقائي من الانفجار. بدأت العملية بصفة طبيعية لمنع وصول القنبلة إلى الحفرة المهيأة، وبدأت تتدحرج على حافة الحفرة في اتجاه الأشخاص الذين قاموا برميها. في هذه اللحظة، قفز محمد كالقط قابضا القنبلة بيده اليمنى لمحاولة رميها من جديد. لسوء

الحظ انفجرت القنبلة وضحّى محمد بنفسه لإنقاذ حياة الآخرين، مثله مثل حميد وهبوا أنفسهم من أجل وطنهم، ومن أجل حياة زملائهم.

لن ننسى هذا الموقف المعبر عن الشجاعة والتضامن. في كل حرب هناك تقسيم للمهام والأدوار. فما أكثر المعاناة وما أكثر التضحيات للوصول إلى الهدف.

كان العمل في هذه المزرعة أكثر؛ كانت الآلات تعمل بصفة دائمة. الفرق الثلاثة المتناوبة تعمل بلا انقطاع. كانت فرقة تتكفل نهارا بصيانة الآلات، فرقة أخرى مكونة من معدلي القوالب تتكفل بتصميم وإنجاز مختلف أنواع القطع، بالتبطين، والتطريق؛ أخيرا تتكفل الفرقة الثالثة بالتركيب المتسلسل على الآلة.

كان تنظيم الإنتاج مشابها لأي مصنع للأسلحة. كانت طريقة تقديم القطع بشكل يظهر كل الجوانب، مع منظر لمختلف المقاطع، وبدأنا في صناعة القوالب. الكل كان منجزا من طرف فريق من التقنيين والعمال المحترفين الخبراء. لم يكن هنالك إطارات، تقنيون سامون أو مهندسون، ولكننا كنا قادرين على إنجاز العمل اعتمادا على إرادتنا واجتهادنا.

كنت ضمن الفريق المكلّف بصنع القوالب. عرف هذا الفرع تطورا ملحوظا. كان علينا أن ننتقل من موقد الجمر إلى المصهر، وهو عبارة عن فرن مصنوع من الآجر الصامد. وضعنا على صفيحة فولاذية القالب الذي كنا نريد سقيه، وعند وصوله إلى درجة حرارة معينة يحددها اللون، نغمسه في خزان به زيت كثيف حتى نبرده. بعدها يتم تنقيته بواسطة صنفرة، ثم نكرر عملية تسخينه وتبريده من جديد بنفس الطريقة للحصول على ما يدعى تقنيا إعادة السقي. هذا هو سر معالجتنا الحرارية، وبفضل هذه الطريقة التجريبية، التي تعتمد أساسا على تجربتنا، كان عدد القوالب المنكسرة قليلا.

بمجرد الانتهاء من صنع القوالب، كانت توضع هذه الأخيرة على آلة ضغط ميكانيكية يشرف عليها مشغل، ويتم إنتاج القطع بتسلسل. في هذا المجال عشنا حادثا كان ضحيته الرفيق حفيظ الذي كان يشتغل ضمن الفريق المناوب ليلا.

في تلك الأمسية، حين كان حفيظ يجهز المخرط الآلي، انكسر حبل فولاذي والتوى حول يده اليمنى قاطعا أربعة

أصابع. تم نقل حفيظ إلى المستشفى بصفة مستعجلة، ولكنه لم يتمكن من استرجاع أصابعه المقطوعة.

إضافة إلى آلات صناعة الرشاشات، كان بحوزتنا مصهر يستعمل لمعالجة الحديد، الذي سرعان ما كان يحول إلى قنابل يدوية وإلى قذائف. كان الفرن يعمل مرة واحدة في الأسبوع. بقية الأيام كنا نجمع بقايا الهياكل الحديدية ونحضر القوالب الجديدة بمجموعات مكونة من اثنتي عشرة قنبلة يدوية وستة قذائف.

إضافة إلى هذا كانت هناك فرقة صغيرة في المطبخ مكلفة حصريا بإعداد الطعام. كنا نقوم بالتموين ثلاث مرات في الأسبوع، وهناك في المطبخ، و لأول مرة، أمضينا، نحن الأجانب، شهر رمضان. خلال هذا الشهر الذي بدأ في منتصف شهر جانفي 1960، تم تخفيف عمل الفرق المنظم في ساعات دائمة. في حين كنا نحن نعمل أربع ساعات ليلا بعد الإفطار، قبل فترة الراحة أين كنا نأكل قليلا ونستمتع بالشاي بالنعناع. تذوقته لأول مرة وذكرني ذوقه بمذاق الشاي عندنا، الذي كان يحظى بتحضير خاص أيضا. خلال شهر رمضان، كانت النصف ساعة المخصّصة للإستراحة بمثابة حفل

بالنسبة لنا. كان الرفاق فرحين وكثيري الضحك، كانوا يرددون الأغاني، يرقصون وهم يتناولون الطعام. على العكس، خلال النهار لم يكن بمقدورنا النوم كثيرا. كنا، نحن الذين لا نصوم، نستيقظ في منتصف النهار لنأكل عادة الكسكسي باللبن. بعضهم كان يضيف له القليل من السكر لتخفيف حموضته. كنا نستغل فترة الظهيرة للقراءة وتعلّم اللغة الفرنسية. كنا أيضا نراسل عائلاتنا المتواجدة بعيدا عنا. كانت تسلم الرسائل إلى مكتب للرقابة إذ أننا كنا نعمل في السرية ولم يكن لأحد أن يعرف مكاننا. لهذا السبب كانت الرسائل تستغرق شهرا أو شهرين لتصل إلى وجهتها المقصودة.

كانت تصلنا رسائل من ذوينا أيضا، أحيانا ثلاثة أو أربعة دفعة واحدة. كانت الرسائل تواسينا و كنا نقرأها مرارا في انتظار أخبار جديدة.

لم يكن هذا البعد يؤثر عليّ كثيرا. لقد حضّرت نفسي لذلك، وأنا أعلم أنه كان علي تحمل ذلك مثلي مثل رفاقي الجزائريين. هم أيضا متأكدون أن عليهم تحمل هذا الفراق من أجل النصر. في هذه اللحظة بالذات، تذكرت حادثا وقع لي ولأنريكي. في الكثير من الأحيان كنا نجد تحت أوسدتنا علبة

شوكولاطة. استمر هذا الأمر لمدة طويلة. وعليه قررنا البحث عن صاحب هذه اللفتة الجميلة، إلى أن اكتشفناه.

في يوم من الأيام صادفناه في غرفتنا. كان الفاعل هو الرفيق *أخام*:

- ماذا تفعل هنا يا رفيق؟ سألته.
- لا شيء، كنت أبحث عنكما، إنهم في حاجة إليكما في الورشة.
- ماذا تحمل في يدك؟ سأله إنريكي.
- يبدو أنكما تنبهتما لكل شيء، أليس كذلك!؟
- نعم، كما تعلم لقد وجدنا مرات عديدة هديتك الصغيرة. لم يكن من الصعب التكهن بأنه أنت، أنت الوحيد الذي بإمكانه الحصول على مثل هذه الأشياء.

وانفجرنا ثلاثتنا ضحكا.

كان هذا الرفيق ذو الطيبة الكبيرة رجلا لكل المهام: طباخ، مسؤول عن الفلاحة، سائق الجرار، ميكانيكي. أحيانا،

إن استلزم الأمر ذلك، كان يقوم بدور "المهرج"، وكان يسخّر ما تبقى له من وقت في رسم ما تحتويه ذاكرته من مناظر طبيعية رائعة لمسقط رأسه بمنطقة القبائل. كان يقوم بذلك باستعمال ألوان عادية يحصل عليها بطريقة مجهولة.

الأهم في مثل هذا الظرف هو ضمان أمن داخلي وخارجي جيد. لهذا الغرض كان لدينا مجموعة من الحراس متنكرين في زي رعاة، يهتمون بالبقر، لكنهم يخفون تحت *قشابياتهم* رشاشات لتوقيف أي شخص مزعج يريد الدخول دون مبرّر. هذا يعني بالطبع حذر كبير تجاه كل شخص يمكنه جلب الانتباه.

في اليوم الذي مرت فيه طائرة استكشاف فوق رؤوسنا ، و لأسباب أمنية، تقرر تغيير موقع المصنع. وبهذا نقلنا نشاطاتنا إلى تامارا وسخيرات.

تسبب الموقع الجديد في إثارة بعض المخاوف لدينا، أولا من جانب الآلات، إذ أننا كنا نتمتع بكل التسهيلات في تلك الفترة و خاصة بالشمس وبالهواء الطلق.

انتهى شهر رمضان، وعدنا إلى العمل بالتوقيت العادي، و كان من الضروري الانتقال إلى موقع آخر، انتقال حوالي 205 أشخاص أمر يلفت النظر ويثير الإنتباه. كما أنه هناك خطر إتلاف العتاد. بعد شهرين، ما بين شهر مارس وأفريل تم تغيير الموقع. ووزعنا على مركزين، يقع أحدهما في وسط المدينة، تامارا. هنالك نصبت آلاتنا للإنتاج المتسلسل، المخاريط، الفريزة، المنشار الآلي، الثاقبة، الخ.

تم الانتقال بطريقة لا تؤثر كثيرا على الإنتاج. خلال النهار كنا نفكك الآلات في مزرعة بوزنيقة الواسعة. كان النقل ليلا في شاحنات مغطاة يتم تفريغها مباشرة داخل المصنع. شخصيا كنت ضمن الفرقة المرسلة إلى تامارا للتفريغ ليلا وإعادة تركيب العتاد نهارا وهو العتاد الموجه للضبط و لصناعة القطع تسلسليا على آلة ضاغطة آلية و أخرى هيدروليكية وزنها 100 طن. في ظرف يومين وليلتين أتممنا النقل وتركيب الآلات.

قضيت شهرا في تامارا أين شاركت في تركيب آلة قديمة تستعمل لصناعة ماسورة الرشاشة. تم اقتناء هذه الآلة من أوروبا وهي آلة قديمة الصنع وتم نقلها سريا قطعا منفصلة.

كلفتنا عملية تركيبها وتشغيلها جهدا ذهنيا كبيرا بسبب عدم امتلاكنا لمخطط تركيبها ولا كيفية استعمالها.

لصناعة ماسورة الرشاشة كان علينا ثقب قضيب فولاذي باستعمال مثقبات أقطارها مختلفة. من الضروري أن تكون هاته الأخيرة طويلة وأن يتم إدخالها بدقة لتجنب كسرها. كما أننا كنا نعلم أن التخلخل الكبير الذي تتميز به الآلة سيطرح مشاكل كبيرة للصقل والتخطيط داخل الماسورة. كل هذه العمليات كانت تعني جهدا كبيرا وضياع كمّ هائل من الوقت، لهذا فضلنا التخلي عن المشروع.

قررت القيادة بعد ذلك إيجاد الموارد اللازمة لاقتناء آلة أحسن. إضافة إلى الموارد المالية، كان علينا إيجاد البائع. كان علينا التوجه لزوما نحو إحدى الدول الصديقة، من تلك التي كانت تساند كفاحنا من أجل الاستقلال، مثل مصر جمال عبد الناصر. أرسل رفيقان إلى هناك، ليس فقط لشراء الآلة ولكن لمتابعة فترة تكوينية تمكنهم من استعمالها والتحكم في تقنيات صيانتها.

كانت النتائج غير منتظرة وتمت العمليات بصفة أسرع، وأدق، رغم صعوبة إيجاد المادة الأولية.

إلا أنه كانت لهذه الآلة مشكلة كبيرة: كانت تحدث الكثير من الصوت. وعليه تم البحث عن مكان أقل إثارة للانتباه لوضعها فيه، وهكذا ذهبت الآلة إلى سوق الأربعاء أين أقمت هناك لأول مرّة منذ وصولي إلى المغرب.

كانت إقامتي في تامارا قصيرة، شهرين فقط. طلب مني الذهاب إلى سخيرات أين كانت فرقة الضبط التي تتكفل بالقولبة و بآلتهم الخاصة. في تامارا كانت الحياة أصعب منها في المزرعة الكبيرة التي جئنا منها. لأسباب أمنية، لم نكن نرى نور الشمس. كان ممنوعا علينا الخروج إلا ليلا لأخذ قسط من الهواء الطلق على السطح.

وجب على بعض الرفاق العيش بهذه الطريقة لمدة أكثر من سنة. البعض منهم مازال يعاني ضغطا نفسيا من ذلك إلى يومنا: مثل حالة الرفيق الذي لا يستطيع النوم مهما كانت حالة الطقس و نافذة غرفته مغلقة.

في مركز تامارا

عند عودتي من سخيرات، وجدت كل الرفاق الذين تركتهم في بوزنيقة. كان ترحيب رفاق الكفاح أخويا وحميميا. معظمهم كان ينام في أجنحة مصنعة، قبالة الورشات. كان هذا المكان، الموجود في حظيرة كبيرة، منفصلا عن الآلات بقطعة أرضية. وعليه، كان الصوت المنبعث من الآلات، خاصة آلات الضغط، جد ضعيف.

كان تنظيم مقابلات في كرة القدم محاولة لبعث النشاط والخروج من العمل الروتيني، أكثر منه حبا للرياضة. كما كنا نستعمل المكان كحمام، أين كان يلزمنا الكثير من الذكاء لنستحم دون مرشات ونحلق لحانا. إلا أن ظروفنا عرفت تحسنا بعد مرور فترة قصيرة. تم بناء مرشات وكذا قاعة إطعام، إذ كنا قبل ذلك نتناول طعامنا بالتناوب في مرأب لا يسعنا جميعا. بعد هذه التحسينات، أصبح إيقاع الحياة أفضل. كنا نستفيد من أيام راحة لغسل ملابسنا والغرف التي كنا ننام بها. كان لدينا أنا وأنريكي غرفا منفصلة عن بقية الرفاق، وبما أننا اعترضنا على هذا التفضيل، كان رد المسؤولين كالتالي:

- لا، ليس هذا تفضيل. ببساطة أنتما أحسن هكذا حتى تتمكنا من دراسة اللغة الفرنسية والتفكير في أهمية العمل الموكل لكما.

كنا إذا نمضي يوم راحتنا في الغسيل. كان علينا غسل أغطيتنا وتجفيفها في نفس اليوم لنستعملها ليلا عند النوم. بما أننا كنا نفتقد لمكواة، كنا ننشر سراويلنا ممدة حتى لا تنكمش كثيرا.

شخصيا، ولأنني عشت في الماضي وحيدا، كنت متعودا على مثل هذه الأعمال التي كان صغارنا يعتبرونها خاصة بالنساء. كان على الجميع تقبل الأمر وعليه اكتساب الخبرة في هذا المجال.

لإعطاء غرفنا القليل من الحياة، قمت أنا وإنريكي بتعليق بعض الصور لأبطال ثوريين. طبعا قمنا بصناعة الأطر باستعمال خشب التغليف. كما قمنا بصناعة طاولة وكراسي، إضافة إلى مكتبة صغيرة أين كنا نضع كتبا مختلفة تخص مواضيع علمية وسياسية.

كنا نقرأ قليلا ونحن نشرب نقيعا بالأعشاب أرسلها لنا رفاقنا في الأرجنتين. أحيانا كان ينضم إلينا بعض الرفاق الجزائريين. في الحقيقة بدأ البعض منهم في استهواء هذا المشروب. في أحد أيام الراحة قررنا تنظيم حفل صغير. لم يكن لدينا لحم لكننا كنا على علم أن رفيقنا المكلف بمخزن مواد الصيانة كان يعتني بتربية مجموعة من الدجاج. فكر الشباب في القبض على واحدة منها.

- مابك تجري وراء هذه الدجاجة المسكينة؟ قلت للصائد.
- هل يمكنك الاقتناع بوجبة طيبة دون لحم؟ رد علي.
- نعم، و لكن هذه الدجاجات ملك لسي محمد وسيكون جد غاضب إذا ما باغتك وأنت تطاردها هكذا. كان بإمكانك أن تطلب منه واحدة، و كان حتما سيعطيك إياها بكل سرور، ألا تظن ذلك؟
- لا، لن يكون للأمر حلاوة. أتمنى أنك لن توشيني لديه، أليس كذلك؟

هكذا قمنا بإعداد وجبة لذيذة باللحم. حتى عمي السعيد استمتع بها؛

- نعم أظنك على حق، سنأكل جيدا الليلة.

في الغد قابلت الرفيق الذي تكفل بإحضار الدجاجة.

- ماذا فعلت بعظام الدجاجة؟ سألته. هل أعطيتها للكلاب نظير مساعدتهم؟

- لا، كان سي محمد سيراهم ويكتشف من هو السارق.

- إذن ماذا فعلت بها؟

- لقد دفنتهم عميقا في التراب حتى الكلاب لن تتمكن من إيجادها .بهذه الطريقة سيكون الجميع راض، ماعدا الكلاب طبعا، ها ها ها !!!

تواصل عملنا في مصنع القوالب بصفة طبيعية. كنا نقضي أحسن ساعات النهار (الأكثر نورا) في الورشات. قمنا بتحديد توقيت لكن إذا ما أراد أحدنا الاستمرار فلم يكن هناك مانع لذلك، بما أننا كنا نقوم بذلك بصفة تطوعية نوعا ما،

وبدافع العقيدة والوطنية. كانت الحياة وتنظيم العمل يتم بالتشاور بين المسؤولين والعمال، الفرق الوحيد بيننا كان الوظيفة التي كان يشغلها كل منا والمهام المختلفة الموكلة لنا. بالطبع، في وسط الحياة الجماعية يمكن أن تكون هناك علاقات تفاهم وتواطؤ، كما تبينه هذه القصة التي أود ذكرها:

- ما بك يا رفيق؟ خذ هذا غذاؤك، إنه لذيذ اليوم.
- ألا ترى أنني أقوم بإضراب عن الطعام؟ اذهب يا كاسر الإضراب!
- اسمح لي بإعطائك هذه المعلومة، لا نعمل هنا لكسب قوتنا، ولكن للمساهمة في كفاح الوطن من أجل الاستقلال. من الأحسن لك أن تفكر في ذلك مستقبلا.

بعد ثلاثة أيام من الإضراب، استهل عاشور نشاطه. طبعا كان عليه مضاعفة جهوده لتعويض العمل المتراكم. كان يعمل على آلة الفريزة وعليه، فلم يترك إضرابه يتأخر كثيرا في

العمل المتسلسل. على يقين من خطئه، عمل عاشور بكد لإنهاء القطع التي كان عليه صناعتها.

في الحقيقة، لم يكن أحد يتكفل بالنظام داخل المركز. وحدها النشاطات الجماعية وضمير المجموعة كانا يكفيان لفرض نظام ذاتي. من البديهي القول أنه في الحالات الخطيرة، كانت قواعد نظام الجيش تدخل حيز التنفيذ.

تجمع أمام الورشة بالسخيرات

فريق كرة القدم بالسخيرات

الصيف في المعسكر

فلنمر إلى مرحلة أخرى: مرحلة سقي القوالب بعد العمل الدقيق المتمثل في التبريد اليدوي.

كان هذا العمل يتم صيفا في حرارة خانقة لا تحتمل بالنسبة للأوروبيين غير المتعودين على هذا المناخ. أتذكر الرفيق ماكس الأصلع، الذي كان يعمل، مثلنا، مرتديا تبانا، كان يقوم من حين لآخر بنوع من الرقصات لا ينقصها إلا دقات الطبول. كان الذباب يحط على رأسه. يطردها بيده فتذهب لتحط على رجليه، يرفع رجلا ثم الأخرى، يقفز في مكانه، وكنا نضحك ونحن نشاهد هذا العرض.

لكن لنعد لسقي القوالب. كانت هذه العملية تنجز في فرن من الآجر الصلب، كل ذلك تحت مصهرة للحديد ضرورية للمعالجة النهائية للقوالب.

في يوم من الأيام كنت مع علي مشغولين بسقي قوالبنا، أودعنا ماكس قالبه قائلا:

- هل يمكنك التكفل بسقي هذا القالب نيابة عني، لكن اعتني به جيدا، كلفني صنعه تقريبا شهرين.
- لا تخشى شيئا، أنت تعرفني، سأعتني به وكأنه واحد من قوالبي.

بدأنا إذا العمل. سقينا قوالبنا على التوالي في فرن خاص ثم تكفلنا بقالب ماكس. للقيام بذلك كان على علي تغيير مدور المصهرة للحصول على درجة الحرارة اللازمة، التي كنت أُقيمها تبعا للون الذي يتخذه الفولاذ. طبعا لم نكن نملك مقياسا للحرارة. وعليه كان بإمكاننا أن نخطئ بعشرة أو عشرين درجة حرارة مئوية، لدرجة حرارة مرجوة قدرها تسعمائة أو ألف درجة مئوية. كانت لحظة عدم انتباه (لحظة تغيير الأماكن) للاستمرار في تغيير مدور المهوية. هذا ما حصل مع قالب ماكس. لاحظنا أن الفولاذ بدأ بإفراز شرارات، وهو علامة بداية الذوبان، أوقفنا حالا المهوية، فتحنا باب الفرن، (صفيحة فولاذية قديمة وضعناها تحت الآجر)، ونزعنا الفحم حول القطعة. ثم انتظرنا أن تبرد قليلا قبل إدخالها في حمام الزيت. بهذه الطريقة تمكنا من إنقاذ القطعة. لكن كان علينا مواجهة ماكس والتحقق ما إذا كان سيلاحظ أي شيء.

- هـذه قطعتـك يـا رفيـق، أتمنـى أنـك لم تكـن قلقـا بشـأنها.
- لا، علما أنك أنت من تكفل بمعالجتها الحرارية، لماذا تريدني أن أقلق؟

احـتفظ بالقطعـة لفـترة في يـده، فحـصها مليـا وشـكرنا. هكذا انتهت هـذه الحادثـة الصغيرة بـدون عواقـب. قررنـا عـدم إخبـاره بـالأمر، ليس لخداعـه بل لتجنـب أن يغـضب دون سـبب مهم، خاصة وأن حافة القطعة كانت بالكاد مكسورة وأن ذلك لن يشكل أية مشكلة بمجرد وضعها في الآلة.

في منتـصف سـنة 1961، كانـت القوالـب ومعظـم القطـع لعـشرة آلاف رشاشـة جـاهزة. كـان علينـا الانتهـاء مـن صـنع القوالب التي ستستخدم في صناعة الشحن: مئة ألف، عشرة شـحن لكل رشاشـة، لهذا الغرض تم تسخير ثلاث فرق تعمل بالتناوب 24 ساعة على 24.

كان دزيري، من تيارت، يعمل على آلة ضغط لطرق ما يدعى تقوية الشحن. كان يعمل بكلتا يديه، كانت واحدة تضع القطعة، في حين كانت الأخرى تنزع القطعة المطروقة. كان الأمر عبارة عن عمل تركيز وتنسيق للحركة. لحظة عدم انتباه واحدة ستكون عواقبها وخيمة، و وقع ما كنا نخشاه.

ترك دزيري يده تحت آلة الضغط أكثر من اللازم، لم يتمكن من نزعها بالسرعة اللازمة وفقد أحد أصابعه. تم نقله بصفة مستعجلة إلى المصحة أين تلقى العلاج الأولي قبل نقله إلى المستشفى.

كانت سخيرات، و هي مزرعة صغيرة تنتج البرتقال، تستخدم كمخبأ أثناء تنصيب الآلات التي كان صوتها يسمع من قبل الجيران. أتى بطالون شباب بحثا عن العمل. للأسف لم يكن بمقدورنا تلبية طلبهم لأسباب أمنية، مع أننا كنا نعلم أن في تلك الفترة كان الناس بحاجة ماسة للعمل.

ورغم هذا الجو المشحون بالعمل والحذر والحرص على أداء الواجب كانت المزحة حاضرة بيننا فهذا بلقاسم، من مخزن الأدوات، كان يملك آلة عصير. كان يدعو جميع الأشخاص

الذين يأتون إليه لأخذ أداة، أن يشرب كوبا من العصير. في أحد الأيام، بينما أنا منهمك في عمل التبريد، سمعته يناديني:

- محمود، محمود!
- ماذا تريد؟ ألا ترى أنني مشغول؟
- تعال، تعال دقيقة فقط!
- ماذا هناك؟ أرجو أنك لم تزعجني لسبب تافه! يجب عليّ إنهاء هذا العمل اليوم.
- هل تريد شرب الخمر؟
- أتسخر مني؟ أعلم أنه لا يوجد خمر. أنت تزعجني، تريد أن تقضي وقتك وأنت تسخر مني؟
- على الإطلاق، قال و هو يضحك. أردت أن أقدم لك كوبا من عصير البرتقال الحمراء، سيشعرك اللون الأحمر بأنك تشرب الخمر. أردت أن أمزح معك أنت لا تحب هذه المزحة. أليس كذلك؟
- لا، إذا كان الأمر هكذا، أنا أشكرك. أنا فعلا اشعر بالعطش وعلى كلّ حال كنت سأتوقف لأشرب قليلا.

المؤلف رفقة صديقه عيسى

- هل تريد كوبا آخر؟
- لا شكرا، فلنترك قليلا للآخرين، يستحقون هم أيضا كوبا من الخمر.
- ها، ها، ها!

عند انتهائنا من أخر قطع الرشاشات، أسرعت في تركيبها. إلا أنه بقي لنا مشكل: أين نجربها؟

لم نتأخر في إيجاد حل: سيتم اختبارها في بئر جاف. تعطل الرشاش الأول عند أول طلقة. صعدت إذن من البئر بحذر لأن السلم المعدني كان في حالة أكسدة متقدمة. في الحين توجهنا لمعاينة هذا العطب في الورشة ولم أعلم كيف، وأنا أمشي، ضغطت على الزناد. انطلقت رصاصة سببت لنا فزعا كبيرا. كان بإمكاني إصابة رفيقي الذي كان يمشي بالقرب مني. لحسن الحظ كانت الماسورة موجهة نحو الأسفل.

بعد إجراء الفحوصات، كان علينا تجريب كل الرشاشات. لهذا الغرض وقع اختيارنا على قبو المنزل. كان صوت جرارة أزلنا منها مخفض صوت المدخن لحجب صوت

الرشاشات، ووسط صخب كبير قمنا بإطلاق رشقات نارية على أكياس من التراب. كل شيء كان على ما يرام، ماعدا بعض القطع التي كانت لازالت تتعطل. لهذا كلّفت مع بعض الرفاق بالذهاب إلى بوزنيقة لنقوم بفحوصات أدق.

أثناء إقامتنا في بوزنيقة، قام بزيارتنا العقيد بومدين الذي كان حينها قائد أركان جيش التحرير الوطني. قدمنا له رمزيا رشاشة تعبيرا عن مجهوداتنا في خدمة جيش التحرير الوطني والكفاح من أجل استقلال الجزائر.

لم يكن يعني هذا أن متاعبنا قد انتهت. تواصلت تدريجيا أبحاثنا حول نقائص السلاح حتى توصلنا في يوم من الأيام إلى اكتشاف الخلل. كان نازع الرصاص لا يعمل بشكل جيد. مع البحث، انتهى بنا الأمر إلى إيجاد حل للمعضلة، اقترحه خايلي وهو شاب سنه 22 سنة، رئيس فرقة التركيب بالتسلسل. منذ تلك اللحظة بدأ التركيب بالتسلسل بإيقاع سريع في سخيرات.

المشكل الآخر الذي كان علينا حله ولم نفكر فيه إلى حد الآن، كان كرانيف الرشاشات. جربنا الباكيليت تبعا لتصاميم خايلي. كان هذا الشاب يملك أفكارا بارعة. إبتكر آلة، ركبها

شيئا فشيئا، تلحم قوس كهربائي، قطع حديدية في شكل U وL. للأسف كان هذا العمل جبارا، إضافة إلى كوننا في 1961، وكانت الأسلحة منتظرة بإلحاح من طرف جنود التحرير. وعليه، قررنا ببساطة شراء كرانيف للرشاشات.

زيادة على كل هذه المشاكل التقنية كان هناك مشكل الإفراط في استهلاك الكهرباء. أجبرنا وجود عدد الآلات التي تعمل ليلا ونهارا وخاصة الفرن الكهربائي، إلى البحث عن حل كما كان الحال بالنسبة لبوزنيقة.

هناك كنا نملك مولدا كهربائيا مستقلا عن الدورة العمومية، لكن هنا، كان علينا إيجاد نمط آخر من التموين الكهربائي، لأننا كنا قرب الشبكة. وعليه فكر أحد الرفقاء الكهربائيين في ربط دورتنا مع الشبكة قبل العداد الكهربائي. تمت العملية بطريقة جعلت مراقبي الشركة الكهربائية لا يكتشفون الأمر.

بهذا الشكل عملت الآلات لمدة سنة كاملة. كان عدد الأشخاص في سخيرات أقل بكثير مما هو عليه الشأن في

بوزنيقة، وفي يوم من الأيام، أثناء جمعية عامة، تناول أحد الرفاق الكلمة و قال:

- قبل أن أبدأ، أطلب منكم المعذرة على ما سأقوله. إنها واقعة حدثت ما قبل الأمس، خلال الغداء، مع الرفيق المسؤول عن المطبخ، سي بلقاسم. لا أدري كيف أقول لكم ذلك...
- تكلم! قال أحدهم بينما نحن نقهقه ضحكا.
- لا تسخروا مني، من فضلكم! إن الأمر صعب للغاية، فمن فضلكم لا تقاطعوني.
- حسنا، نحن نصغي إليك، تكلّم، ولا تغضب. نحن جميعا إخوتك هنا، أضاف رئيس الجلسة.
- شكرا، ذهبت خلال الغداء لأطلب الخبز من سي بلقاسم الذي رفض إعطائي، وبما أنه حاضر بيننا، أطلب منه إعطاء تفسير لهذا الرفض.

خيم الصمت في قاعة الاجتماعات، "المطبخ" ، ثم أعطيت الكلمة لسي بلقاسم.

فتحدّت بصراحة:

- بالفعل، ما يقوله صحيح، وأقرّ بما ذكره هذا الأخير، إلا أنه نسي أن يشرح لكم ما حدث فعلا. أثناء انشغالي بالطبخ والتحضير لتقديم الطعام، أتى هذا الشاب، الذي كان من بين المجموعة الأولى، كل عشرين دقيقة لطلب قطعة خبز. الأمر الذي سبب اضطرابا في عملي، قررت أن لا أعطيه له المزيد من الخبز. أذكر أنني قلت له:

"- لماذا لم تطلب مني منذ البداية قطعة خبز كاملة، عوض أن تزعجني في كل مرة؟"

بدأ الجميع بالضحك، بما في ذلك المدّعي وهذه مزحة أخرى.

إحدى الأمور التي كنا ننشغل بها في سخيرات: نظرا للعدد الكبير من الكلاب، كل منا كان له كلب يتكفل بإطعامه. كان هذا يرفه عنا قليلا. حصل أحدنا، الرفيق بلال (واسمه الحقيقي عبد القادر) على أجمل كلب. كان ضخم البنية، أسود، لكنه كان يشكو من عيب كبير: كان يخاف من كل شيء.

كان هذا الخوف يتعارض مع جماله، الأمر الذي كان يثير غضب صاحبه، الذي حاول دون فائدة تحويله إلى كلب شجاع، وبعد أن تيقن أنه لا جدوى من المحاولة، كان على بلال أن يقتنع بكلبه الجبان.

كانت هناك أيضا قطط في المزرعة. كانت أقل اقتحاما من الكلاب. كانت تنام طوال النهار وتنتظر ساعات الراحة للظهور. ولدت إحدى القطط يوما ستة صغار. وعليه نالت منا كل العناية. في هذا الجو كانت أيامنا تنقضي في أخوة.

بعد انتهائنا من صنع وتركيب قطع الرشاشات ومدافع الهاون من 50 و 80 ملم، قرر مسؤولونا منحنا أسبوعا للراحة. مضت سنتان (باستثناء زيارات الطبيب وتنقلنا إلى بوزنيقة وإلى سخيرات) دون أن نخرج وأن نلتقي بأحد. كانت حاجتنا ماسة إلى تغيير اهتماماتنا وطعامنا.

ذهب الكثير منا عبر المغرب، في مجموعات صغيرة حاملين وثائق مزورة، ولم ينس أحد أن يطلب من الذين بقوا للمناوبة أن يعتنوا بكلبهم. إذن ذهب كل واحد في طريقه، واتجهت شخصيا نحو الدار البيضاء لتغيير الجو وأخذ قسط من الراحة الضرورية.

تنتهي العطل دائما أسرع مما نتوقعه، وأتى يوم العودة إلى المزرعة. كانت أربعمائة رشاشة في انتظار التركيب. كان علينا أيضا تحضير قطع لمدافع الهاون. بمجرد عودتنا أثار أمر انتباهنا: غياب الكلاب. عندما استفسرنا عن الأمر لدى الإدارة، قيل لنا أنه تم نقلها لمكان آخر لأسباب أمنية. في الحرب، عادة ما تكون الكلاب غير مرغوب فيها، فهي تنبح لأتفه الأسباب كاشفة عن مكان الجنود. لهذا، تم التخلص منها. لم يكن يفترض بنا أن نعرف ما حل بكلابنا.

إنهمكنا من جديد في العمل، ونحن نستمع للقصص التي أتى بها كل منا من عطلته القصيرة: بدأت القولبة التسلسلية لأربعمائة رشاشة في تامارا، وبعد ذلك في المحمدية، مع المجموعتان المتسلسلتان لقطع مدافع الهاون. استقر فريق تركيب الرشاشات في سخيرات في مخزن قديم، مفتوح الجوانب. وحده كان السقف مغطى بمطيلة متموجة محمسة، وبقدوم الشتاء كان على الرفاق أن يلبسوا جيدا لتفادي الأمراض الشتوية، خاصة في الصباح الباكر.

ونحن نعمل، كان البناءون، وبقيادة النشيط خايلي، يقيمون سورا. شرعوا في بناء الجهة الأكثر تعرضا للريح، ومن مجرد مخزن لا يوجد به إلا سقف، أقاموا ورشة بأتم معنى الكلمة.

داخل المرقد

المؤلف رفقة زملائه : كتو ، عمي السعيد ، عيسى

موازاة مع عمل فرقة تركيب الرشاشات، كانت فرقة أخرى في بوزنيقة تحضر لحفر نفق لتجريب العشرة آلاف رشاشة التي يتوجب تجهيزها قبل إرسالها إلى ساحات المعارك.

شرعت فرقة الضبط في صناعة قوالب المائة ألف شحان. وبعد فترة، بدأت التجارب التطبيقية للرشاشات في بوزنيقة، أين لقينا بسرور الشمس والهواء الطلق.

كان علينا أنا وسليمان أن نصحح في النفق كل العيوب الملاحظة. بعد الفحص، يتم ترقيم الرشاشات، وضعها في صناديق وغمسها في حمام كهروليتيك لتفادي أكسدة القطع المعدنية. تم تكليف بروش، تقني هولندي ذو خبرة كبيرة، عمره حينها خمسون سنة، بهذه المهمة. أذكر أنه توجب علينا بناء مدخنة في النفق يخرج من خلال أنبوبها دخان أزرق، لتجنب الغاز الصادر عن الرشاشات. لكن تيار الهواء الناجم عن الباب المفتوحة للنفق، يحلّ مشكل التنفس الذي كان سيطرح علينا.

البعض تحت الأرض، والبعض الآخر في الخارج فوق الصناديق، مهما كانت الظروف المناخية، لم نكن نتوقف إلا للأكل والنوم. لم يكن لدينا حتى الوقت لتسوية فراشنا عند

الاستيقاظ، مما جعل رائحة كريهة تحوم في غرفنا. لهذا السبب قررنا النوم والباب مفتوح وإن استلزم الأمر أن نتغطى أكثر. إلا أن هذه التهوية الإجبارية لم تقضي على تلك الروائح، التي كان علينا إيجاد مصدر هام للتخلص منها.

عند قدومنا لتلك الغرفة، وجدنا عددا كبيرا من الجرذان. تم وضع السم في المكان، لكننا نسينا غلق الثقب. فكرنا أن أحد الجرذان كان في طور التحلل، تم تكليف البنائين بغلق الثقب باستعمال الإسمنت، لكن ذلك لم يقض على الرائحة الكريهة.

إقـتـــراب الـنـصر

كنا نعمل دون هوادة متأكدين من الانتصار، متيقنين أنها مسألة وقت. وكان الوقت حليفنا. في كل القارات، كانت الإمبريالية والاستعمار يتراجعان.

رغم الظروف الصعبة، وفي وقت كان علينا إنجاز الكثير، كانت الثورة تمضي إلى الأمام خلال السنوات الأولى من الكفاح، كان علينا محاربة العدو، أن ننتظم سياسيا وعسكريا. كان علينا أيضا محاربة الذين عارضوا الكفاح المسلح، الذين خدموا أهداف العدو، كل الخونة والعملاء.

في هذه الظروف، لم تتوقف الثورة عند محاولتها للبقاء حية. لقد سجلت تطورا في هياكلها العسكرية والمدنية. أصبحت العلاقة مع الجماهير، خاصة الطبقة الريفية، محرك الطبقات الاجتماعية الأخرى، أكثر صلابة. انضم العمال، المثقفون، الطلبة إلى التنظيم وشاركوا في الكفاح المسلّح.

سـنة 1956، ولـدت أول مركزيـة نقابيـة، الاتحـاد العـام للعمال الجزائريين. كما أنشأ الطلبة بدورهم تنظيمهم: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. تم تسجيل تظاهرات شعبية بارزة، لاسيما سنة 1957، مع إضراب الثمانية أيام، وسنة 1960 مع المظاهرات الجماهيرية في 11 ديسمبر.

الثورة أقوى من أي وقت مضى، إذ من الواضح أنه لن يستطيع أي قمع مهما كانت شدته ودمويته أن يحبط من إرادة شعب بأكمله ومن إصراره على التحرر. وبهذا اليقين، وهذا الحزم وهذه الثقة في المستقبل واصلنا العمل.

بمجرد انتهائنا من التجارب في بوزنيقة، تكفل رفاق آخرون بمهمة تركيب الشحن.

سبق لي وأن ذكرت الحادثة التي كلفت الحياة لمحمد عند تجريبه للقنابل اليدوية. أحتفظ أيضا في الذاكرة بالحادثة التي أودت بحياة مراد، في سوق العربة. كان على مراد تجريب مدفع هاون صغير عياره خمسون مليمتر و مجال فعاليته ثلاثمائة إلى ثلاثمائة وخمسون مترا. راهن على قدرته في إدخال شحنة أكبر من الشحنة المعتادة. واثق من نفسه، وبحضور عدد من المسؤولين، نفذ مخططه دون أن يفكر في الابتعاد. كما كان

منتظرا، لم يحتمل المدفع هذه الشحنة وانفجر في وجه مراد. استشهد مراد قبل وصول الإسعاف: إنّه ثمن الحرية.

بعد تجريب الرشاشات والحمام الهيدروكهربائي، وتشحيمهم لتجنب الأكسدة، تم نقلها مغلفة في ورق خشبي ومعبأة بمعدل عشر رشاشات في كل صندوق. بعدها يتم شحنها على متن شاحنة ونقلها ليلا نحو مخزن للمصالح اللوجيستسكية لجيش التحرير الوطني.

نحن في سنة 1961. كنا نأمل في رؤية الأشعة المضيئة لمنارة الاستقلال. لكن كان علينا أن نضاعف من اليقظة، لم نكن في مأمن من هجمة للعدو. رغم رغبة الحكومة الفرنسية في التفاوض، كان بعض العقداء الفرنسيين يتمتعون بحرية التحرك، كان بإمكانهم استعمالها ضدنا. ثم يفسّر ذلك على أنه خطأ، عمل عناصر غير مراقبة، مع ضمان عدم تكرار الأمر، الخ.

بقينا حذرين ليس فقط بعد وقف إطلاق النار، بل حتى لفترة لا بأس بها بعد الخامس جويلية، في حين كانت المنظمة المسلحة السرية (OAS) المشؤومة، تحاول إجهاض استقلال الجزائر. كانت كل القوى التي تتوفر عليها الثورة مسخرة وتقريبا في حالة تأهب مستمرة، خلال الأشهر الأخيرة لسنة 1961. كانت

رياح الاستقلال تهب في الأفق، شبيهة بالرائحة المدوخة التي تفرزها الأرض عندما تمطر السماء.

كانت قوانا لا تضعف، بل كانت تتضاعف. كنا نعمل بحماسة. هذا لم يمنع بعض الرفاق من إبداء بعض التحفظات مثل: "هل تظن أنه ستكون هناك مفاوضات؟"، وكنت أردّ حينها: "بالطبع! ستكون هناك وسترى ذلك، قريبا سنكون مستقلين".

كنت متأكدا من صحة ما أقوله. إذا قبلت الامبريالية بالتفاوض هذا يعني أنها لم تعد قادرة على مواصلة الحرب، الحرب التي تكلفها الكثير.

اليوم أتفهم أسباب الشك الذي كان يرتاب رفاقي. سمح لي الوقت أن أطلع أكثر على تاريخ مقاومة الشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي، أثناء احتلال العاصمة، ثم بعد ذلك، طيلة الفترة الاستعمارية.

خلال مائة وثلاثين سنة، لم تكن فترات الهدوء بعد القمع الهمجي الامبريالي، تمثل إلا استراحة يتم استغلالها للتحضير لانتفاضات أخرى. لم يتقبل الشعب الجزائري أبدا الاستعمار، ولا الإدماج، رغم الفرض الإجباري للثقافة وللغة، الخ.

رغم ذلك أبقت فرنسا على قوة ردع ضخمة. وما ساعدها على ذلك هو قرب المستعمرة منها.

كان ديغول يعرف جيدا تاريخ الاستعمار في الجزائر. لم يستلم الحكم سنة 1958 من أجل الوصول إلى إيفيان. كان هدفه سحق الثورة، أن يحقق الانتصار. لهذا الغرض، سخر كل إمكانياته الحربية، من المؤكد أن سنوات 1958، 1959 و 1960 كانت هي الأصعب للثورة التحريرية، سواء بالنسبة لجيش التحرير الوطني أو بالنسبة للشعب الجزائري. ولم تكن لتخطر ببال أحد حينها فكرة أن ديغول قد أهدى الاستقلال للجزائريين.

أراد الرئيس الفرنسي أن يتفاوض بعد أن أدرك أن الجيش الفرنسي لن يتمكن من الانتصار في الميدان، وكان يرغب في الانسحاب بعد الحصول على أكبر عدد ممكن من الامتيازات. أراد ديغول "جزائر مستقلة" ذات ميول وتوجّه فرنسي.

بالنسبة للثورة الجزائرية، شكلت معاهدات إيفيان حاجزا يجب اجتيازه.

مرت الشهور، زالت الشكوك، واستمر العمل. بعد وضع الرشاشات في الصناديق، كان علينا تجهيز الشحن. مائة ألف شحان، عشرة لكل رشاشة. كان علينا أيضا الانتهاء من تركيب سلسلتي مدافع الهاون.

في 19 مارس 1962، عند إعلان وقف إطلاق النار، كنا دائما على قدم وساق. لم يتغير شيء بالنسبة إلينا، لا التوقيت، ولا الجدية في العمل. تقرر ترحيل بعض الرفاق، (جنود مخضرمين)، الذي كانوا يتكفلون بالحراسة، بعد هذا التاريخ. وجدت رفاق تامارا، أولائك الذين كانوا يعملون في السرية، في مزرعة بالمحمدية وضعت تحت تصرفنا قبل الاستقلال بقليل. مقارنة بوجوهنا المحروقة بالشمس، كانت وجوههم شاحبة، وكأنهم عادوا من بلد بارد أو خرجوا من سجن. صحيح أنهم بقوا لمدة طويلة مجبرين على عدم الخروج، مما أضعف قدراتهم الجسدية، لكنهم أصبحوا مهرة في لعبة تنس الطاولة، إذ أن هذه الرياضة كانت وسيلة ترفيههم الوحيدة.

بسبب ضيق المكان، لم يكن بوسعنا في المحمدية أن نمارس رياضتنا المفضلة؛ كرة القدم، وفي مباريات تنس الطاولة كان رفاق تامارا يفوزون دائما.

في المحمدية رحلت أول مجموعة من الرفاق الذين كان عليهم الرجوع إلى الجزائر، (فترة وجيزة قبل إعلان الاستقلال). كانوا يبكون فرحا. تعاهدنا كلنا أن نلتقي قريبا في جزائر حرة ومستقلة.

الدخول إلى الجزائر

أتى وقت رحيل المجموعة الأولى: حوالي عشرون شخصا. العيون تغمرها الدموع، نحن واقفون، نودعهم بأيدينا، وهم داخل الشاحنة يصرخون بأعلى أصواتهم: "تحيا الجزائر!"، "يحيا الرفاق!". كانت الأحاسيس جياشة، والفراق صعبا.

بعد ذلك بقليل، تم تقسيم مجموعتنا إلى فوجين: فوج معني بالعودة إلى الجزائر وآخر سيبقى يتكفّل بفك الآلات، ترتيب القطع والأدوات الدقيقة في صناديق. كانت مهمة جد صعبة.

تمت مكافأة شباب هذه المجموعة و آخرين جاءوا من مراكز مختلفة. في جوان 1962، تم إرسال حوالي خمسين شابا إلى يوغوسلافيا لمتابعة تربص لتحسين المستوى. ثم جاء دورنا للتفكير في تحضير أمتعتنا وجمع ذكريات تلك الفترة.

كان في أمتعتي طبعا أربع لوحات، رسمها الرفيق أخام على الخشب، و كل رصيد المكتبة التي صنعتها.

كانت أمتعتنا جاهزة منذ مدة لكن تاريخ رحيلنا لم يعط لنا بعد. لهذا قررنا أنا وبوم، الرفيق الأرجنتيني، وبوساطة رفيق بلجيكي من أصول إسبانية، الاتصال مباشرة بمسؤولي جيش التحرير الوطني.

في انتظار ذلك، غاب عن أنظارنا الرفيق الهولندي بروش، وهو الذي بقي معنا إلى آخر لحظة. عند عودتنا لم يكن موجودا. كان علينا الرحيل دون توديعه.

شخصيا، كنت أريد الرحيل إلى الجزائر، لكن المسؤولين أرادوا إرسالي إلى الأرجنتين. لهذا الغرض سلموا كل واحد منا تذكرة سفر- ذهاب دون عودة. بعد نقاش، تقرر أن نحتفظ بالتذكرة لزيارة أقاربنا عندما نرغب في ذلك. وعليه وفي سنة 1964 بعد خمس سنوات من الغياب، تمكنت من رؤية عائلتي، لكن لشراء تذكرة العودة توجب عليّ اقتراض مبلغ من المال.

قبل ذلك، قام المسؤولون الجزائريون بسلسلة من الإجراءات لتوضيح وضعيتنا حتى نتمكن من مغادرة المغرب بصفة قانونية. تم تسليمنا تأشيرة (على بياض) لمغادرة البلاد، كانت تحمل اسما ولقبا وصورة. كان علينا إيجاد بطاقة تتناسب مع سننا.

فرحة الدخول إلى الجزائر

مجاهدون في عز الشباب

بدأنا سفرنا نحو الحدود باتجاه وجدة، على متن حافلة لجيش التحرير الوطني وبحوزتنا توصية موجهة لمحافظ تلمسان، الذي كان مسؤولا في جيش التحرير الوطني أيضا. هناك أخذ السائق وثائقنا الشخصية وقدمها للشرطة. بعد لحظات عاد رفقة شرطي. قام هذا الأخير بمناداتنا واحدا واحدا، قارن بين عدد المسافرين وعدد البطاقات الشخصية التي بحوزته، ثم طلب منا الانتظار. أثار هذا الأمر قلقنا، وسألنا سائق الحافلة:

- لا تقلقوا، إنها مراقبة روتينية، رد علينا السائق.

لكن قام شرطي ذو رتبة، بإنزالنا من الحافلة وكان علينا الانتظار لمدة ثماني ساعات في الحدود. اتضح أن مجموعة من الرفاق الجزائريين الذين انضموا إلى الدرك المغربي كانوا معنا. لم تكن وثائقهم قانونية وانتظرت الشرطة معلومات أكثر من الرباط. ورغم تدخل المسؤولين المحليين لجبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، كان علينا تركهم هناك قبل استئناف سفرنا إلى غاية مركز الحدود الجزائري المتواجد على مسافة مائتي متر. هنا لم يعترضنا أي مشكل. حتى السائق لم

يتكبد عناء النزول من الحافلة. كان بحوزتنا جميع الوثائق القانونية كلاجئين جزائريين في المغرب.

في مساء نفس اليوم وصلنا إلى تلمسان، وتوجهنا مباشرة إلى محافظ المقاطعة، وسلمنا له رسائل التوصية.

"مرحبا بكم في الجزائر، رفقائي، أنتم متعبون من السفر. اذهبوا لأخذ قسط من الراحة وغدا ستواصلون سفركم إلى وهران. هناك مقر قيادة أركان جيش التحرير الوطني. أنتم طبعا في ضيافتنا".

باكرا في الصباح، انطلقنا باتجاه وهران. هناك قدمنا سائق الحافلة لمسؤول. تم إيوائنا مؤقتا في ثكنة كانت قبل ذلك تابعة للجيش الفرنسي، في انتظار تعييننا الجديد. كنا متأكدين من حاجتهم إلينا حالما يقررون تشغيل الورش المهجورة من طرف الفرنسيين مجدّدا.

بعد بضعة أيام انتقلنا إلى المقر الذي كانت تستعمله الولاية الخامسة، التي كانت تحت قيادة العقيد عثمان. استقبلنا هذا الأخير استقبالا أخويا، ثم سلم كلا منا أمرا بمهمة لتمكيننا من التجول في المدينة. لم تكن هناك سلطة مدنية حينها. وعليه كانت كل القرارات تصدر من طرف العقيد عثمان. كان

على قيادة الأركان المستقرة في وهران التعامل مع كل مشاكل المدينة، المدنية والعسكرية. لم يكن ذلك بالأمر الهين.

سرعان ما ظهر تفاهم كبير بيني وبين العقيد عثمان. كانت علاقتنا جيدة وكان بوسعي مقابلته دون بروتوكول.

بعد شهر دون نشاط، اقترحت عليه الذهاب إلى الجزائر العاصمة بحثا عن العمل في المجال المدني أو العسكري. بعد نهاية مقابلتنا تحصلت على أمر بمهمة ورسالة توصية موجهة إلى المسؤول عن الشؤون العسكرية. سلمني هذا الأخير بدوره تصريحا بالمرور ووعدني بأن يجد لي عملا.

في الحقيقة، وإلى جانب مشكل العمل، كانت تشغلني مشاكل أخرى: لم أر زوجتي منذ أكثر من أربع سنوات. لحسن الحظ لم يكن لدينا أولاد حينها، كان بإمكانها العمل لتلبية احتياجاتها.

أثناء حرب التحرير، أقترح علي أن أجلب زوجتي إلى المغرب. لم أقبل، لأنه مقارنة برفقاء آخرين فقدوا كل شيء، المسكن، الزوجة، الأولاد، و لم يبق لهم إلا جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، والكفاح أمامهم، كنت سأكون صاحب امتياز ولم أكن لأقبل بذلك.

ذهبت إذن إلى العاصمة لأشرح وضعي لرئيس الدائرة. لم يكن بحوزتي حينها أية وثيقة شخصية.

- أظن أن لي حل لك.
- ما هو؟
- الجنسية الجزائرية.
- ولكن، هل تظن أنه سيكون سهل عليّ الحصول عليها؟
- طبعا، يكفي أن تملأ الاستمارة التالية وأن تنتظر قليلا.
- لا أحسن كتابة الفرنسية جيدا. هل تستطيع مساعدتي؟
- أجل، أعذرني كان عليّ أن أفكر في ذلك.

ملأنا الاستمارة معا. وضع رئيس الدائرة ملاحظة على الهامش. بعدها، استدعى مرافقا وطلب منه مرافقتي إلى مصلحة بطاقات التعريف.

- شكرا جزيلا يا أخي، أنا جدّ ممتنّ لك.

- لا شكر على واجب، من الطبيعي مساعدة جزائري أرجنتيني.

في مصلحة بطاقات التعريف، استقبلني موظف قام بمعاينتي كما لو أنه يشاهد كائنا جاء من كوكب آخر.

كانت هيئة هذا الموظف كهيئة كل الموظفين الذين يعملون في الإدارة الاستعمارية. كان يلبس قميصا مغلقا، بدون ربطة عنق، يضع قبعة من الطراز العربي تسمى "*فاز*" لونها أحمر على رأسه، و سروالا أيضا من الطراز العربي يعرف "*بسروال اللوبيا*".

لم يكن هذا السيد موافقا. لم يرد منحي بطاقة تعريفي وتسبب لي في ألف عائق. كان عليّ إعادة الصور، كان عليّ إحضار الوثائق لإثبات ما في الاستمارة. لحسن الحظ أن شخصا لم يكن يشاركه الرأي كان متواجدا هناك، بالنسبة إليه كانت تصريحات الاستمارة كافية، والصور مطابقة.

هكذا تم توجيهي إلى رئيس الدائرة ليمضي بطاقتي. وتم الأمر في لحظات.

تفضل، قال لي، وتهانينا لك على الجنسية الجديدة!

بهذا انتهت الحرب بالنسبة لي. كان عليّ أن أبدأ كل شيء من الصفر. كانت قصة جديدة ستبدأ بقدوم زوجتي إلى الجزائر. كان عليّ أن أبدأ كل شيء من جديد لأنه كان عليّ إيجاد عمل و كراء منزل لاستقبال زوجتي القادمة من الأرجنتين.

كان عليّ أيضا أن أطلب تسريحي نهائيا من الجيش لأتفرغ لحياتي المدنية ولتنظيم حياتي الخاصة.

في تلك الفترة كانت علاقتي مع الجيش حسنة، لم يكن هناك أي ضغط، ولم أكن أبيت في الثكنة ولكن عند رفاق تمكنوا من الحصول على مساكن تخصهم، وقد قبلوا بإيوائي.

في 10 أكتوبر 1962، تمكنت من الحصول على وظيفة في شركة الكهرباء "سونلغاز"، بفضل صديق كان يعمل في اللوجيستيك بنفس المؤسسة. بعدما اتصلت به تم توظيفي في الحين كميكانيكي في مركزية الميناء.

وفي هذه المؤسسة أيضا، في مركزية الميناء، إلتقيت بالشخص الذي ساعدني للحصول على مسكن، في حي بلكور الشعبي.

وصلت زوجتي في 15 أكتوبر من نفس السنة. بمجرد استلامنا المسكن كان علينا تأثيثه وشراء ما نحتاجه من لوازم. أتذكر أننا كنا نستعمل فرنا صغيرا يعمل بالكحول لإعداد وجباتنا.

في تلك الفترة اتخذت قرار مغادرة جيش التحرير الوطني نهائيا.

في سونلغاز، كانت مهمة كل واجد منا إعادة نشاط المؤسسة وإعطائها نفسا جديدا، إذ أن الموظفين ذوو الأصول الأوروبية (الأقدام السوداء)، الذين كانوا يعملون فيها، غادروا الجزائر.

تفانينا في العمل بأجسادنا وأرواحنا من أجل أن يبقى المصنع ومن ورائه الجزائر صامدان، لتكذيب التوقعات الفرنسية التي أرادت أن تغرق الجزائر مباشرة بعد رحيلها.

وحتى نقوم بمهمتنا في أحسن الظروف التي تضمن الفعالية والمردودية، كان علينا أن ننتظم ضمن الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وأن ندعم ونعمم مؤسساتنا.

هكذا، نظمنا في مركزية الميناء انتخابات لإنشاء الفرع النقابي. وبما أنني رشحت نفسي تم انتخابي كممثل. تمكنت بهذا من تكريس اهتمامي بمهام أخرى خدمة للجزائر المستقلة.

سنة 1963، عندما ظهر الخلاف الحدودي مع المغرب، استنفر الجيش الجزائري من جديد لحماية أرضه من الاحتلال المغربي. توجب أيضا الاستعانة بدعم الشعب وبخبرة المحاربين القدامى. كنت ضمن من تقدم للتسجيل في ثكنة لخدمة وحماية السلامة الترابية للجزائر.

عند إرسالي للقيام بفحص طبي، شاءت الصدف أن ألتقي بالطبيب ماكاسي، الذي كان مسؤولا عن الصحة في مصنع التسليح في بوزنيقة. عندما شاهدني قال لي جملة بقيت راسخة في ذاكرتي:

– ألست متعبا؟ مازلت مصرا على المشاركة في حماية الجزائر!

– فأجبته: ما أتيت للقيام بالفحص الطبي إلا لأنني ما زلت مستعدا، أليس كذلك؟

في الأخير، ورغم ملاحظة الطبيب ماكاسي "قابل للخدمة"، لم يتم تجنيدي.

في سياق نفس السنة تحصلت على الجنسية الجزائرية بموجب قرار وزير العدل، وطبقا للإجراءات المعمول بها الخاصة بالأجانب الذين شاركوا في حرب التحرير الوطني.

سنة 1964، و كما ذكرته سابقا، ذهبت إلى الأرجنتين لزيارة عائلتي الكبيرة التي لم أرها منذ خمس سنوات. بقيت زوجتي (أولغا) في الجزائر. لم أشأ أن افرض عليها سفرا متعبا وهي حامل بإبننا.

كانت عودتي في شهر أفريل.

في 24 جويلية 1964، في هذا اليوم كان من المفروض أن أكون في العمل لكنني لم أكن في منصبي. عند ما لاحظ غيابي، أتى أحد زملائي لإحضاري بشاحنته. ووجدني أمام المنزل، أنتظر سيارة أجرة تقل زوجتي إلى العيادة. كان حضوره في أوانه.

مع ميلاد إبني، قررنا أنا و(أولغا) تسميته محمود لويس. المحمود الحقيقي حسب رأيي.

أولائــك الوطنيــون

"جــنــود الخــفـاء"

لقد كتبنا الكثير عن صناعة الأسلحة، عن الظروف التي كنا نعمل فيها، الصعوبات التي واجهتنا. لقد ذكرنا، أحيانا بصفة موجزة، الرجال الذين شاركوا في هذه المهمة التي تمت في السرية التامة طيلة عدة سنوات. طبعا من المستحيل ذكر جميع أسماء هؤلاء الرفاق، الذين اختفى بعضهم. لكنني أود أن أعبر عن الذكرى التي لا توصف التي أحتفظ بها عن هؤلاء الوطنيين غير المعروفين لدى العامة أو جنود الخفاء وأهدي لهم تحياتي وولائي الخالص.

قبل كل شيء، تلكم أسماء بعض الرفاق الأجانب الذين ساهموا مباشرة وبحزم كبير في الكفاح من أجل استقلال الجزائر والذين تشرّفت بمعرفتهم.

بول (عيسى)

كان بول، المعروف بعيسى، مناضلا في الحركة العمالية في الأرجنتين، وهو أول من وصل إلى المغرب، من المتطوعين الأرجنتينيين وجد رفاقا أوروبيين من بينهم ثلاثة هولنديين.

كان عيسى من أصول ألمانية، هاجر رفقة والديه خلال الحرب العالمية الثانية.

في الأرجنتين، ناضل من أجل حقوق الطبقة العمالية في صفوف نقابة صناعة التعدين. خلال كل مساره النضالي، كان بول جد متأثر بالمشاكل التي تعيشها الشعوب عبر العالم في أمريكا اللاتينية، آسيا، إفريقيا...

كانت تلك المشاعر هي السبب الذي أدى به إلى المشاركة في الثورة الجزائرية، بداية في الأرجنتين، بدفاعه عن حق الشعب الجزائري في الاستقلال، ثم مباشرة ضمن صفوف جيش التحرير الوطني، في اللوجيستيك (صناعة الأسلحة).

كافح عيسى بإخلاص خلال تلك السنوات، بنفس الجهد ونفس العزيمة التي ميزت الرفاق الجزائريين. لسوء الحظ، كان عليه مغادرتنا قبل الاستقلال بقليل لأسباب عائلية.

قابلته بعد ذلك عدة مرات. حافظ دائما على نفس التفاؤل، المبادئ والعلاقات الأخوية. عند كل لقاء كان يكلمني عن أسفه لعدم حضوره ومشاركته في الاحتفالات والأفراح التي شهدتها الجزائر لحظة الإعلان عن الاستقلال.

ألبيو (بوم)

وصل ألبيو، الأرجنتيني، المعروف ببوم، بعدي بقليل. كان مثقفا ومهتما بالحياة الروحانية. بداية قادته اهتماماته الاجتماعية إلى الانضمام إلى حركة دينية أين كان يقوم بوظيفة قداسة.

كان خرّاطا، وكانت له دراية جيدة بالكيمياء، وعمل بعد الاستقلال في هذا المجال.

لم أكن أعرفه في الأرجنتين. تعرفت عليه قبل حضوري إلى الجزائر بقليل. قامت بيننا أثناء الثورة وبعد الاستقلال علاقة وطيدة.

كان منفصلا عن زوجته، ويعيش وحيدا مع أمه، الرابطة الوحيدة التي بقيت له في بلده. بعد ذلك، عاش في الجزائر لمدة طويلة وتزوج مع جزائرية وأنجبا طفلا. انقطعت أخبارهما بعد رحيلهما إلى الأرجنتين.

كان لهذا الرفيق تصرفا مميّزا لا يصدر إلاّ من مناضل ثوري. كان محبوبا وأظهر روحا أخوية وكرما كبيرين. قررنا معا العيش في الجزائر، وكان من المفترض أن لا يغادر هذا البلد إلا بعد وفاة أمه. لكن تجري الرياح بما لا تشتهيه السفن.

ويـــم

كان ويم، الهولندي، من الأوائل الذين التحقوا بالمغرب. كان تقنيا ساميا، يمتلك خبرة كبيرة. كلّف بمكتب الدراسات وتكفّل بتصميم مخططات أولى قطع الرشاشات. أشرف على تكوين مجموعة من الجزائريين لإنجاز بقية المخططات. تكفل بتنسيق الإنتاج في الستينات، عندما أجبرتنا الظروف على اعتماد اللامركزية.

نظرا لظروف عائلية خاصة، وتهديد زوجته بالطلاق فإنه اضطر للعودة إلى بلده.

فيما أعتقد، كان ويم هو اسمه العائلي. في الفترة التي كان يتواجد معنا لم يكن لنا ألقاب بعد. بعد رحيله الطارئ لم تصلنا أخبار عنه.

بـــروش

كان بروش، و هو هولندي أيضا، أكبرنا سنا، وعليه، أكثرنا خبرة ونضجا. عندما وصل أياما بعد ويم، أحضر ضمن أغراضه مدفع هاون مفكك إلى قطع غيار مفصلة لنستخدمه كنموذج لأحد السلاسل الخاصة بصناعة هذا السلاح في ورشات جيش التحرير الوطني.

في البداية، اهتم بروش رفقة ويم بمكتب الدراسات وبتصميم المخططات الأولى. أتذكر أنني رأيت بروش يقسم بعض القطع ليحدد الشكل بدقة، ويرسم المخطط اللازم لصناعة القوالب. كان من الأواخر الذين غادروا. ربما لأنه كان أعزبا. كان يعيش نفس عيشتنا، دون أيّ تميز باستثناء التسريح الذي قدمه له المسؤولون الجزائريون باستيراد السيجارة الهولندية التي كان يحب تدخينها. كان يظهر قدرة تحمل جسدية مذهلة، مكتفيا بسويعات من النوم للمحافظة على لياقته البدنية.

عند عودتي أنا وبلوم إلى الجزائر، كان بروش في انتظار أن يضبط المسؤولون الجزائريون إجراءات عودته إلى بلده.

ماكس – مـخـتـار-

ماكس، المدعو مختار،هولندي هو الآخر.

كان رجلا متقدما في السن، تقريبا أصلع الرأس. كثيرا ما سبب له مزاجه الصعب وطبعه المتكبر بعض الاشتباكات مع رفقائه في العمل. لكن لم يؤثر ذلك على روحه الثورية وعلى رغبته الشديدة في رؤية العالم يتحول إلى مجتمع أين يتمكن الإنسان من العيش حرا، وهذا ما كان ينسينا شخصية ماكس الصاخبة.

كان دائم السماع إلى الأخبار، فكان على علم بكل ما يحدث في العالم.

مهنة ماكس الأصلية هي نقش الألماس، وهذا ما يفسر إتقانه ودقته في أداء عمله. مع العلم أن المناخ لم يكن يناسبه إطلاقا، فقد كان يشكو من الحرارة والذباب إلى درجة أنه كان يبدو أنه يرقص داخل تبّانه وهو يعمل محاولا طرد الذباب.

إثر انتهائه من التركيب رجع إلى موطنه، وقد علمنا أن زوجته طالبته بذلك بإلحاح.

تعاهدنا أن نتقابل في الجزائر يوما ما. ويبدو أنه قام بزيارة إلى هناك وقابل بعض الرفاق، أما أنا فلم أره من جديد.

تيو

تيو يوناني الأصل، وكان هذا في الحقيقة اسما مستعارا يستعمله في نشاطه السري في موطنه الذي كان حينها تحت السلطة العسكرية. غادر تيو اليونان سرا لخدمة الثورة الجزائرية.

عمل تيو في تشغيل آلات الإنتاج ولم يكن ذلك بالعمل الهام، لكنه ثوري مثالي متيقن من انتصار كل الثورات عبر العالم. للأسف تعذر علينا في البداية الحديث معه لأنه لا يتكلم سوى اليونانية. في الحقيقة لم نكن نحن أيضا، فور قدومنا، نتحدث سوى لغات بلداننا. لكن كان من الأسهل علينا إيجاد قواميس إسبانية - فرنسية ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لقاموس يوناني - فرنسي. بذل تيو جهدا كبيرًا ليتفهم إشاراتنا، وفي الأخير تمكنا من إهدائه قاموسا قديمًا يوناني- فرنسي، ساعده على تعلم أبجديات اللغة. عمل تيو معنا إلى غاية الإعلان عن الاستقلال. بعدها، وبما أن اليونان كانت لا تزال تحت السلطة العسكرية، التحق ببلد أوروبي آخر ولم تصلنا أخبار أخرى عنه.

مـــراد

كان مراد مسؤولا عن المصنع الصغير . لن أنسى أبدا الاستقبال الذي خصّني به فور وصولي. علمت أنه من مدينة تلمسان وأنه انضم إلى الثورة منذ فترة. كان يعمل خراطا وكانت له دراية بالميكانيك العامة. كان شابا ومثلنا كان مليئا بالحيوية ومتيقنا من انتصار الجزائر.

كان مراد يذهب إلى المدينة لأتفه الأسباب، وهذا ما جعله قبلة لانتقادات رفاقه في العمل الجزائريين منهم والأجانب. أما أنا فكانت علاقتي به جيدة.

عقب انتقالنا إلى بوزنيقة ،لأسباب تنظيمية، بقي مراد للتكفل بالأشغال المتعلقة بصناعة وتجريب مختلف الأسلحة.

بعد مدة، ورغم السرية التي كانت تميز حياتنا، علمت بخبر وفاته في حادث. كان هو من حاول زيادة قوة وفعالية مدفع الهاون الصغير. انفجرت القذيفة داخل المدفع، وجرح مراد جرحا بليغا إذ أنه كان منبطحا قرب مكان إجراء التجربة.

توفي مراد أثناء نقله للمستشفى. لم يرافقه لمأواه الأخير إلا القليل منا. حضر جنازته المسؤولون والرفاق الذين ينشطون في الخارج، في مراكز التصنيع.

وعلى غرار ما حدث لرفاق آخرين،استشهد مراد أثناء أدائه لواجبه في السر، ودفن مثلهم في مكان مجهول.

اليوم وبعد مرور قرابة أكثر من أربعين سنة من الاستقلال، يجب التفكير في استرجاع جثثهم لتكريم ذاكرتهم.

محمد خدّاش

لم يكن يتجاوز سن محمد خداش العشرين سنة. كان مفعما بالحيوية والإخاء. لا أعلم من أي حي من العاصمة هو، إذ لم يكن هناك عدد كبير من العاصميين حينها. حتما كان من بين الشباب الذين استدعتهم فرنسا للالتحاق بالجيش الفرنسي، ولكنهم فضلوا الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني. من المؤكد أن هذا هو سبب قدومه إلى مصنع التسليح أين تعرفت عليه.

بعدما افترقنا بداعي اللامركزية، وأنا في بوزنيقة، وصلني خبر تعرضه لحادث كلفه الحياة. عمل محمد يومها رفقة طالبي وبوزيد (وهي كلها أسماء مستعارة) على تجريب القنابل اليدوية التي لم تنفجر والتي تم استرجاعها من ساحات المعركة. لهذا الغرض قام محمد ورفاقه بحفر بئر عميق محاط بحاجز وقائي من تراب. كان الثلاثة ينبطحون أرضا على بعد مسافة معينة من البئر، ويقومون برمي القنابل فيه.

سارت الأمور بصفة جيدة، وفي يوم من الأيام أخطأت إحدى القنابل هدفها ولم تسقط في البئر، وتدحرجت من الحاجز الترابي في اتجاه الرماة. سريعا قفز محمد نحو القنبلة وأمسك بها، وقبل أن يرميها انفجرت هذه الأخيرة. تسبب ذلك في تمزق يده وفي جرح بليغ من جراء الانفجار. أما رفيقاه فقد جرحا جروحا خفيفة.

عرف محمد بدماثة خلقه، وكان يشارك في كل النشاطات الاجتماعية والرياضية. كنا نلعب في نفس الفريق لكرة القدم. في إحدى الصور الموجودة في الملحق، والتي التقطت أثناء لقاء ضد مراكز عمل أخرى، يظهر محمد وهو يشغل منصب حارس مرمى.

رغم كل المجهودات المبذولة لإسعافه مباشرة بعد الحادث وفي الطريق إلى المستشفى، توفي محمد متأثرا بجراحه. ووري جثمانه التراب في المكان نفسه الذي توفي فيه، وهكذا كتب لمحمد أن يدفن في تربة البلد الذي ضحّى من أجله بحياته.

حميد

حميد أيضا فقد الحياة بسبب قنبلة يدوية. لكن حدث ذلك أثناء مهمة تفكيك واسترجاع و تركيب قنابل يدوية أخرى.

كان هو الآخر صغيرا في السن، بالكاد عشرين سنة. مثل خداش كان يمتاز بروح التضحية. عندما أيقن أن القنبلة التي في يده ستنفجر من لحظة إلى أخرى، لم يشأ أن يرميها حتى تأكّد من أن رفاقه على مسافة آمنة.

تسببت شظايا القنبلة في نزيف حاد، وعندما رأى حميد الدماء تنزف ركض بعيدا عن موقع الانفجار ثم وقع أرضا.

تم نقله على جناح السرعة إلى المستشفى رغم أن جميعنا أدرك أنه لا جدوى من ذلك.

مثل مراد ومحمد دفن حميد خارج وطنه، على غرار العدد الكبير من المجاهدين الذين استشهدوا أثناء أدائهم لواجبهم الوطني. أتمنى أن تكون هذه الشهادة بمثابة نداء لنقوم جميعنا بالإجراءات اللازمة من أجل إجلاء جثمان الشهداء إلى الجزائر.

أتذكر حوادث أخرى، لكنها لم تكن بتلك الخطورة، فمثلا الحادث الذي وقع لحفيظ وهو يضبط آلة أوتوماتكية لصناعة القطع، والذي افقده أربعة أصابع من اليد اليمنى. لم أعلم إذا كانت أصول حفيظ من العاصمة، لكنني أعلم أنه يعيش هناك لأننا التقينا مرارا. أشعر دائما بفراغ في يده وأنا أصافحه.

دزيـــري

دزيري من الرفاق الذين ربطتني بهم علاقة جيدة. هو الآخر فقد أصبعا في آلة ضغط ميكانيكية. دزيري لاعب كرة قدم مرح ودائم الابتسام. مداوم على القراءة و الكتابة رغم أنه ليس بالمثقف.

تعهّد بتأليف كتاب حول الكفاح من أجل الاستقلال، فكان منهمكا ليلا ونهارا في تدوين مختلف الملاحظات.

دزيري من مدينة تيارت، والتحق بجيش التحرير الوطني ثم عبر الحدود قبل قدومي إلى المغرب.

التقيت به في الجزائر العاصمة عدة مرات. فدعوته إلى منزلي وعلى مائدة الطعام تذاكرنا حياتنا في المركز. تزوج دزيري وأنجب عدة أطفال، بعد الاستقلال. و قد عمل في نفس المؤسسة التي عملت فيها (سونلغاز، فرع وهران). خلال زيارته لي أهداني صورة لفريق كرة القدم الذي كنا نلعب فيه.

كما أن دزيري هو الشخص الذي علمني، وبصبر كبير، أبجديات اللغة الفرنسية. بداية صعب علينا التفاهم بالكتابة،

واشترينا قاموسا فرنسي- اسباني لتحسين نطق الكلمات، وشيئا فشيئا ومع اتقاني للغة سهل علي الاندماج في الوسط الذي كنت أعمل فيه.

يوسف (يويو)

يوسف شاب حيوي، تكوينه القاعدي في "الخراطة" لكنه عيّن للعمل كإداري، يشرف على كل المعاملات الإدارية، ولأن يوسف يتقن اللغة الإسبانية كان يتكفل بعملية الترجمة بيننا وبين باقي الزملاء.

نشأت بيننا علاقة جيدة، لكن تطبيق مخطط اللامركزية فرّقنا عن بعضنا، وكّنا نلتقي بين الحين والآخر كلما كانت هناك زيارة بين وحدات صناعة السلاح، وكان ذلك اللقاء عبارة عن مناسبة احتفالية بالنسبة لنا،

بعد الاستقلال لم نلتق إلاّ بعد مرور عدة سنوات وحين التقيته صدفة رفقة بعض الزملاء السابقين عرفت أنه إطار في المحاسبة بمؤسسة وطنية، ولكن فقد السمع ممّا جعله يجد صعوبات في التواصل مع محيطه، وربّما هذا هو سبب عدم استجابته للعديد من الدعوات التي وجهتها له، عرفت في آخر لقاء بيننا أنه أحيل على التقاعد.

أخـــام

أحتفظ بذكريات قوية ومؤثرة عن الزميل أخام، رغم أنه لا يملك أي تكوين أو مهنة قارّة إلاّ أنّه متمكّن من عمل أي شيء يطلب منه، لمّا تعرفت عليه كان يشرف على المطعم في الوحدة، قيل لي أنه كان قبل ذلك يشتغل في الزراعة بواسطة جرّار قديم، وبعد أن طلب المكلّف بالمطعم الإعفاء لأسباب صحيّة خلفه أخام في منصبه وبذلك تخلّى عن أشغال الفلاحة.

ولم يكن العمل في المطعم بالأمر الهيّن، لأنه لا يمكن أن ترضي الجميع، وتلبّي الطلبات المختلفة للأفراد العاملين في مصانع السلاح، غير أن أخام كان يتقبل النّقد والملاحظات التي يبديها الزملاء.

في أوقات الراحة يقوم أخام بممارسة هوايته المفضلة: الرسم على قطع الأخشاب القديمة، وعثرت على بعض لوحاته بعد نهاية الثورة وحملتها معي إلى الجزائر، ومازال بعضها معلّقا على جدران غرفتي.

بعد الاستقلال عاد أخام إلى مسقط رأسه ببلاد القبائل وشدّه الحنين إلى مهنته الأصلية "الفلاحة"، حيث اهتم بتربية النحل إذ استفاد من مساعدة الدولة لشراء خلايا تربية النحل، هذا بعد أن فشل في التسجيل بمدرسة الفنون الجميلة لأنه يفتقر للمستوى التعليمي المطلوب،

في إحدى زياراته إلى الجزائر العاصمة، استضفته في بيتي وعرّفته على زوجتي " الفونسا" وابني "محمود"، وأطلعته على لوحاته المعلقة على جدران بيتي والتي اعتزّ بها كذكريات جميلة تشدّني إلى أيام الثورة الجزائرية، ووعدني بتبادل الزيارات، دعاني لزيارة بلاد القبائل، وبعد أشهر عاد أخام لزيارتي وهو يحمل معه كمية من العسل كهدية لي، ورفض أي مقابل مادّي، فهي عربون محبّة بالنسبة له. أما بالنسبة لي فقد ذكّرني بقطع الشوكولاطة التي كان يهديها لنا في مركز بورنيقة أثناء الثورة ، فما أحلى الذكريات،

مرّت مدّة طويلة لم أر فيها أخام، لكن هذه الشهادة رسالة على علاقتنا الأخوية وهي عربون محبّة إليه وإلى كل الزملاء الذين تشرّفت بمعرفتهم.

السعيد وردان (عمّي السعيد)

كان عمي السعيد أكبرنا سنّا، له خبرة طويلة في مجال الميكانيك العامة، إضافة إلى تكوين كعون متعدد الاختصاصات، بإمكانه تشغيل أي نوع من الآلات الصناعية.

وظيفته الأساسية: خرّاط، لكن معنا كان يقوم بعملية المراقبة التقنية لكل الإنجازات وصيانة الآلات فهو رئيس العمال الذي لا تفارقه نظاراته الطبية لكونه يعاني من ضعف في الرؤية.

قدم عمي السعيد من فرنسا التي قصدها مهاجرا بحثا عن العمل بعد أن ربطت فدرالية جبهة التحرير الوطني الاتصال به مثل غيره من الجزائريين، ولم يكن على اتصال بعائلته ممّا جعله قلقا طول الوقت متسائلا عن أحوال العائلة، والأولاد، هل أتيحت لهم فرصة التمدرس، هل يحصلون على قوتهم اليومي،... وغيرها من الأسئلة التي كانت تراود عمي السعيد دائما.

ورغم هذا كانت الدعابة تخفّف عنّا مصاعب العمل، وفراق الأهل، في إحدى المرّات كنّا نقوم بمراقبة الرشاشات

المركّبة، وسمعت عمي السعيد يردّد عبارة ZOCOLOCOL، ولما سألت عن معناها، أجابني: أن الرشاش به فراغات يحتاج إلى إعادة ضبط، وأصبحت في كل مرة أسلّم له رشاشا للمراقبة، أقول له هذا: ZOCOLOCOL، فينفجر عمّي السعيد ضاحكا، ولّما حكى هذه القصة لزملائنا وكان أغلبهم من منطقة القبائل، كانوا يطلبون مني في كل مرّة ترديد عبارة ZOCOLOCOL لينفجر جميعنا ضحكا، وكلما تسرّب الملل إلى نفوسنا نلجأ إلى ترديد هذه الكلمة.

بعد الاستقلال التقيت عمي السعيد، الذي أصبح رئيس العمّال في مؤسسة الصناعات الميكانيكية، وكان شديد الاهتمام بتعليم أبنائه متحسّرا على ابنه البكر الذي حرمه الاستعمار كغيره من الجزائريين من نعمة التعليم، انتقل بعدها للعمل في الجنوب، وابتعد مرة ثانية عن عائلته، تمكن خلال عمله في الصحراء من جمع بعض الأموال التي مكنته من افتتاح ورشة خاصة للميكانيك، واستقر إلى جانب عائلته وتمكّن من متابعة المسار الدراسي لأبنائه فصار منهم المهندس والطبيب بفضل نعمة الاستقلال.

بلال (عبد القادر)

ينحدر بلال من منطقة بشار في الجنوب الغربي للجزائر، هذه المنطقة التي عانى سكانها من ظلم الاستعمار وصعوبة الظروف الطبيعية، "الحرارة الشديدة، الزوابع الرملية"، وغياب مجالات العمل فأغلب السكان كانوا فقراء.

بلال كان يفتخر أنه يحمل اسم "بلال الحبشي" مؤذن الرسول صل الله عليه وسلم، وكان يشبهه قليلا من خلال بشرته السمراء ولون شعره الأسود الدّاكن، كان حيويا مرحا محبوبا من طرف الزملاء.

بعد الاستقلال استقر بمسقط رأسه ببشار أين افتتح ورشة صغيرة للميكانيك العامة.

محمد عدّة

قدم محمد عدّة هو الآخر من فرنسا التي قضى بها عدة سنوات، بعد تجنيده من طرف جبهة التحرير الوطني للعمل في ورشات تركيب السلاح باعتباره ذو مستوى جيّد كتقني، استقر بمركز السخيرات إلى جانب زميله عاشور، كانا ينسّقان في كل صغيرة وكبيرة، ونظرا لخبرتهما في الميدان، وإتقانهما لعملهما لم تعترضهما مشاكل تذكر.

كنت كثير الحديث والحوار مع عدّة إضافة إلى موضوع عملنا، والمشاكل التقنية التي كانت تعترضنا في بعض المرّات، كان حديثنا متشعّبا حول القضايا السياسية، حول التطورات التي تعرفها الثورة الجزائرية، حول مستقبل الجزائر، حول الشهداء، ومواضيع عديدة.

خـــايـلـي

بخلاف بقية الشبان في المخيم، اكتسب خايلي تجربة معتبرة في الميكانيك خلال عمله في ورشة والده بالجزائر العاصمة.

كان خايلي يقضي جل وقت راحته مع شباب المخيم، يتناقشون حول كيفية تنظيم العمل وعن إيجاد حلول لمختلف المشاكل التي تعترض عملهم. فمثلا خايلي هو الذي وجد حلا لمشكل النازع (extracteur). حيث أنه، وبدون مخطط مبدئي، قام بصناعة عدة نماذج وتحصل بذلك على نتائج ممتازة.

ذات مرة، أحضر أحد المسؤولين نموذجا من النماذج التي صنعها خايلي، وانطلاقا من ذلك النموذج صنعنا النازعات (extracteurs) الخاصة بالعشرة آلاف رشاشة.

بعدها واجهتنا مشكلة صناعة كرانيف (crosses) الرشاشات. فقد أحضر المسؤولون آلة من الخارج لهذا الغرض، لكن كان علينا صناعتها بأنفسنا، حيث كان علينا إيجاد طريقة لتسخين القالب الخاص بها. مرة أخرى تطوع

خايلي لصناعة الآلة اللازمة لتشغيل الجهاز. قام باستعمال مختلف المواد واخترع نظاما لغلق القالب.

لجعلها أخف، استعمل هو ومجموعة الشباب المكونة لفرقته، مادة الألمنيوم. للأسف كان النظام بطيئا، حيث أفقدتنا عملية تذويب الألمنيوم وتفريغه بجرعات صغيرة في القالب الكثير من الوقت (من 15 إلى 20 %).

نظرا لكل هذه الأسباب، قرر المسؤولون طلي القالب بمادة الباكليت (صمغ اصطناعي). و مع هذا فإن الجهد الذي بذله خايلي وفرقته يستحق كل التقدير.

عند الشروع في تركيب الرشاشات في سخيرات، عين خايلي منطقيا كمسؤول عن المجموعة المكلفة بتركيب العشرة آلاف رشاشة.

الطيب (الوسيم)

لم يكن سن الطيب يتجاوز السابعة عشر ، وكان شابا رقيقا مليئا بالحياة والحيوية، تلازم الابتسامة شفتيه الورديتين المكتنزتان.

رغم صغر سنه، كان الطيب مناضلا طيبا يؤمن بالقضية الوطنية، ومتفانيا روحا وجسدا في خدمتها.

تميز الطيب بالجدية والانضباط في العمل، إلا أنه حافظ دائما على حسن المزاج. الكل كان يكنّ له العطف والمحبة، ولهذا السبب كنّيناه ب "بو غوس" (الفتى الوسيم).

كان ينادني أبي، وكان يعاملني فعلا كوالده دون إحساس بالخضوع. بالنسبة له كنت الرفيق "بابا". صحيح أنني كنت أكبُره بحوالي عشرين سنة.

ولد بوغوس في سطيف. تيتم بعد اندلاع الثورة بقليل، فتكفل كل من جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني بتكوينه المدرسي لبعض الوقت. قرر بمحض إرادته الانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني، في مصلحة اللوجيستيك،

في صناعة الأسلحة. طيلة المدة التي قضاها في الورشة كان يعتبرنا كلنا كآباء له، وكنا جميعنا بمثابة إخوته الكبار بأتم معنى الكلمة.

دائما مستعد لتقديم المساعدة، كان طيبا ضمن الفريق الذي عمل على تركيب آلة صناعة الكرانيف (crosses). شارك أيضا في أولى تجارب الصناعة، وانتهى به الأمر إلى الانضمام إلى فرقة الشباب التي تكفلت بتركيب الرشاشات تحت أوامر خايلي.

لم أره كثيرا بعد الاستقلال. حتى بعد مرور عدة سنوات لم تكن لديه إلا القليل من اللحية. وبدأ يفقد شعر رأسه. كان يظن، حسب ما قاله لي، أنني غادرت الجزائر رفقة عائلتي ورجعت إلى الأرجنتين. خلال لقائنا، قبّلني مرتين على كل خدّ كما هي العادة بين قدماء المجاهدين.

رابـــح (فــولــفو)

رابح من منطقة القبائل، يتميز بملامـح أوروبية واضـحة؛ أشقر، طويل القامة، ذو عينين فاتحتي اللون. منحته هذه الملامح بعض الامتيازات، فكان يسهل عليـه التجـول دون إثارة الأنظار. من رآه كان يظنه عاملا لدى أحد الكولون من أصـحاب الملكيات الكـبيرة. لقّـب بفولفـو لأنــه كـان يقـود شـاحنة مـن نـوع فولفـو المعروفة . كان مكلفا بتموين مختلف مراكز العمل. كان يحضر كل مـا هـو ضـروري للأكـل وأحيانـا كـثيرة كـان يتنـاول غـذاءه معنا. رغم الأوامر التي تمنعه من شراء أي شيء بدون استئذان القيادة ومكتب الإدارة، كان رابح يخالف الأوامر ويحضر كل ما طلبناه منه. كان إذا هو من يلبي طلبات آخام في الشوكلاطة.

في أول الأمر كان يرافق المرضى إلى الطبيب، ثم أجبر التنظيم اللامركزي الإدارة على تنظيم خدمة خاصة للتكفل بهذه المهمة.

حدث وأن سافرت مرة معه في شاحنته. كنت جالسا أمامه في المقصورة، ولاحظت أنه كان بارعا في القيام بالأشياء بسرعة.

كان يدوس أكثر من اللازم على عجلة السرعة لكنه كان يقود جيدا. قيل لي أنه سائق جيد. كنا نسير بسرعة ونحن نتبادل أطراف الحديث، وبدا لي أن رابح يفهم جيدا ما أقوله رغم أنني لم أكن أتحدث الفرنسية بصفة جيدة.

خلال هذه الرحلة طلب مني:

- هل تعلم عدد الأشجار المغروسة هنا؟
- لا، لا أعلم.
- عددها ثلاثة.

أظهر لي هذا أن رابح يعرف جيدا كل علامة في الطريق و أنه يعتمد على عدة نقاط استدلال.

رابح هو أكثر شخص رأيته من بين الرفاق بعد الاستقلال. فتح رابح محلا لبيع اللوازم المنزلية وكنت كثيرا ما اشتري حاجياتي من محلّه. كما سمحت لي الفرصة في محله بالتعرف على أسرته، خاصة أولاده الذين أصبحوا مع مرور

السنين بائعين في محل والدهم. كنت أشتري من محل رابح بأسعار منخفضة.

لم تتغير طباع رابح مع مرور السنين. دائما متعاطف ولبق، واقترح علي مبلغا من المال عند الحاجة. مازلت ممتنا له على ذلك الصنيع.

رحماني

رحماني هو الآخر ينحدر من منطقة القبائل منذ البداية كانت علاقتنا أكثر من علاقة صداقة. كان رحماني طلق اللسان. كان يحب تبادل الأفكار السياسية، ويقرأ مختلف أنواع الكتب، المجلات والصحف، رغبة منه في الاطلاع على كل ما يحدث في العالم. كان رحماني يعرف أوروبا جيدا لأنه أقام هناك. عندما استدعي للالتحاق بالجيش، بقي في الثكنة إلى حين أن نظم عملية فرار جماعية مع مجموعة من الشباب. بعدها، رتّبت فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني عملية نقله سريا إلى ألمانيا.

في كل أمسية بعد انتهاء أوقات العمل، كان يأتي للحديث معنا، دائما يبحث عن شيء يقرأه. طرح علي آلاف الأسئلة حول ما يحدث في أمريكا اللاتينية وبالخصوص في الأرجنتين.

أراد أن يتعرف على نشاطي قبل أن أنضم إلى الثورة الجزائرية، كيف كان يعيش الناس في بلدي، كيف هي حال

العمال، الفلاحين، بصفة عامة، كيف كانت الحياة الاجتماعية في الأرجنتين.

تذوق نقيع الشاي الأرجنتيني (ماتي) لكنه لم يعجب بمذاقه، خاصة وأننا كنا نشربه مرا. قمت بتحضير كوب من مشروبنا الوطني المفضل بالسكر لكنه لم يقدر على شرب أكثر من بضع جرعات. وعلى العكس كان يحب جدا شرب القهوة. إلا أن المطبخ لم يكن يعد القهوة إلا لفطور الصباح وما بعد الظهيرة خلال فترة الراحة.

في سخيرات، أين عملنا معا، عيّن رحماني للعمل على آلات الضغط لصناعة القطع بالسلسلة. هناك، وبمساعدة كلب، تمكن من القبض على دجاجة من دجاجات سي محمد وقام بتحميرها في الفرن الذي كنا نستعمله في سقي القوالب. يومها تمتّع الشباب بأكل الدجاجة. وعندما سألته ما إذا قد أعطى الكلب عظما من عظام الدجاجة التي ساعده في القبض عليها، أجابني:

- طبعا لا! لقد دفنتها حتى لا ينتبه سي محمد لشيء.

بخـــلاف الكـــثير، غـــادر رحمـــاني الجـــيش بعـــد الاستقلال. عمل لفترة في الإدارة ثم اختار العمل في سوناطراك إلى أن بلغ سن التقاعد.

كـثيرا مـا التقينـا خـلال فـترات مختلفـة، وكالعـادة تبادلنا وجهات النظر حول مختلف الأحداث الراهنة. بعد زواجه قلّت لقـاءاتي بـه، ورغـم تبادلنـا بعـض الزيـارات العائليـة الـتي مكنتني من التعرف علـى أولاده، لم نحـافظ علـى العلاقـة الدائمـة بين الأسرتين.

إسماعيل (مصباح)

إسماعيل أيضا استقبلني بحفاوة كبيرة. أصله من الجنوب الجزائري، جرح خلال معركة بين جيش التحرير الوطني والقوات الفرنسية وتم إرساله إلى الخارج لفترة النقاهة. لم يكن لديه أدنى تكوين ومستواه الدراسي متواضع. لكن مهارته اليدوية جعلته يتقن عمل أي شيء. كان إسماعيل معرّبا إلا أنه كان قادرا على تبادل أطراف الحديث معي بالفرنسية، وأحيانا على تصحيح نطقي. حتى أنه علمني بعض الكلمات بالعربية مما ساعدني على الاندماج في الوسط.

على عكس رحماني، أحب إسماعيل شرب الشاي الأرجنتيني (ماتي). كان يطالبني بالبعض منه في كل مرة يزورني، ولم يكن يهتم بمذاقه المر أو الحلو. كان يرتب زيارته لنا بحيث تتصادف مع حصولنا على العشبة المستعملة لصناعة المشروب، والتي كنا نحصل عليها من الأرجنتين، إذ أننا لم نتجرأ على طلبها من المسؤولين الذين يسافرون إلى إسبانيا،

فمن الغباء وغير اللائق أن نطلب منهم ذلك بالنظر للاهتمامات التي تشغلهم.

عادة ما نشرب الشاي الأرجنتيتي (ماتي) في جماعة، وكانت صحبة إسماعيل تسعدنا. للتذكير يشرب السائل بواسطة أنبوب مزود بمرشح في أعلاه، في الإناء نفسه الذي أعد فيه. نضيف للسائل القليل من الماء الساخن، ونقوم بتمرير الإناء من شخص إلى شخص. هكذا ونحن نشرب الشاي الأرجنتيني (ماتي)، تمكنا من تعلم نطق اللغة الفرنسية.

ذهب إسماعيل إلى يوغوسلافيا بعد الاستقلال بقليل لمتابعة تكوين متخصص. ثم بقي في الجيش للتكفل بصيانة الأجهزة البصرية. بعد زواجه، سعدنا لانتقال صداقتنا إلى أسرتينا. كنا نتبادل الزيارات من حين لآخر ونقوم بجولات أحيانا إلى الريف أو إلى الشاطئ. كان الجميع يتنقل في سيارة إسماعيل.

بعد سنوات من تقاعده، ذهبت عائلة إسماعيل للإقامة في مشرية. توسعت العائلة، فإضافة إلى البنات الثلاث اللاتي ولدن في العاصمة، رزق إسماعيل بولدين. لا يتوانى إسماعيل في زيارتنا في كل مرة يأتي فيها إلى العاصمة.

سـعـيد (طـوطـاح)

كان سعيد طوطاح رجلا هادئا، قليل الكلام، خجولا، ولكنه مؤمن بالانتصار أكثر من غيره.

منذ البداية تقلد سعيد مناصب هامة على مستوى مصنع الأسلحة. كان يتمتع بروح قيادية وبحس تنظيمي كبير. قام سعيد بتكوين الفريق المكلف بتفكيك القنابل اليدوية.

لم تكن علاقتنا وطيدة عندما كنا نعمل معا. ربما بسبب خجله. لكن بعد الاستقلال، رأيته عدة مرات خلال إحياء مناسبات وأحداث متعلقة بالثورة.

التقينا مرارا رفقة رفاق آخرين عملوا في مصنع الأسلحة، وفي كل مرة كنا نحاول كتابة شيء عن تجربتنا في الموضوع، هذه التجربة المجهولة بسبب ميول بعض المسؤولين للتقليل من أهمية هذا القطاع. حتى نحن كانت أحيانا تختلف ترجمتنا لهذا الشكل من المساهمة في الكفاح التحريري والذي كلف الكثير منا حياته.

بعد عدة محاولات، تخلينا عن مشروع القيام بعمل جماعي.

شخصيا، قمت ببعض المحاولات التي أرسلتها لبعض الجرائد، لكنها لم تر جدوى من نشرها، باستثناء مجلة جبهة التحرير الوطني، "*الثورة الإفريقية*"، التي نشرت إحدى مقالاتي على ثلاث صفحات.

لكل غاية مفيدة، احتفظ سعيد بالملاحظات التي كتبناها، على أمل أن تقرر مجموعة من الرفاق كتابة تاريخ مساهمتنا، كما عزمت أنا على فعله. من يعلم ربما ستساعد هذه الشهادة على كتابة أشمل لقصة صناعة السلاح من طرف جيش التحرير الوطني أثناء الحرب التحريرية. لقد توفي في 25 نوفمبر 1993

يزيد (آيت محند حسن)

غادر حسن آيت محند، المدعو يزيد، مسقط رأسه بمنطقة القبائل، وترعرع في فرنسا وتابع دراسته هناك، حيث أن والده كان عاملا مغتربا.

في باريس، سرعان ما تفطن الطالب الشاب إلى الكفاح الذي يجري في بلده. كما كان حينها ضحية للعنصرية والتهميش على غرار باقي الجزائريين من أبناء المغتربين، ولم يلبث أن التحق بفدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، أين ناضل في مناصب مسؤولية.

تعرّض للمطاردة نظرا لنشاطه ضمن الفدرالية، فار وملاحق لتجنيده في الجيش الفرنسي، تمكن من دخول ألمانيا سرا بفضل التنظيم. هناك تعرف على شباب آخرين في نفس وضعيته. وبمجرد أن أصبح بالإمكان توجيهه خارج أوروبا ، تم إرساله إلى المغرب وإدماجه في مصلحة اللوجيستيك لجيش التحرير الوطني.

عين يزيد في مصنع صناعة وتركيب الأسلحة، ثم عين أمينا ومسؤول التسيير الإداري لوحدة بوزنيقة.

بعد الاستقلال، عمل يزيد معي في سونلغاز. حيث عمل في المخبر الكيميائي في مركزية الجزائر- الميناء 2. هناك تطورت علاقتنا إلى صداقة حقيقية. تكلمنا عدة مرات عن السنوات التي قضيناها معا في مصنع التسليح خلال حرب التحرير.

سعيد (أرزقي مسعودان)

كان سعيد معجبا بالمتطوعين الأجانب الذين شاركوا في صناعة الأسلحة، ميالا إلى تأييدنا ومستعدا لتلبية كل رغباتنا.

رحل من مسقط رأسه، منطقة القبائل، واغترب في فرنسا أين عمل مع والده منذ سن السابعة عشر. ناضل سعيد في صفوف فدرالية جبهة التحرير الوطني إلى غاية أن اضطر إلى التقدم لأداء الخدمة الوطنية. عندها عمل التنظيم (جبهة التحرير) على ترحيله من التراب الفرنسي. مر من ألمانيا حيث كان العديد من الشباب الجزائريين الفارين والعاصين، ومن تم أرسل إلى مصلحة اللوجيستيك بالمغرب، في مصنع الأسلحة.

بسبب تعليمه البدائي، وانعدام تأهيله المهني، تم تعيينه كعامل متخصص على آلات الضغط في ورشة صناعة قطع الرشاشات.

كانت هناك ثلاث فرق: فرقة الصباح، فرقة المساء وفرقة الليل.

عندما تمت صناعة كل القطع، عمل سعيد في فرقة خايلي للتركيب. كما شارك في مجموعة صناعة مقابض الألنيوم على الآلة التي صممها خايلي. بعد الانتهاء من التركيب عمل مع الفرقة المكلفة بصناعة سلسلتي مدافع الهاون.

بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار، عمل سعيد لفترة مع الرفاق المكلفين بنقل التجهيزات إلى الجزائر.

التقيت به عند عودتي إلى الجزائر في أوت 1962. وجد سعيد عائلته، أو ما تبقى من أفرادها، حيث استشهد أخويه في الثورة. لم يجد في القرية إلا والدته ورفاق الطفولة. كان والده دائما في فرنسا، ولم يعد إلى الوطن إلا بعد تقاعده.

كان سعيد من بين الرفاق الذين واصلوا مسارهم المهني في الجيش، ولكن كعامل مدني، شأنه شأن الكثير من الجزائريين.

تزوج من شابة قبائلية تدعى سعدية، يتراوح سنها بين ستة أو سبعة عشر سنة، وأقاما في الجزائر العاصمة. نشأت علاقة صداقة بين أسرتينا وكنا نتقابل على الأقل مرة في الأسبوع. كان سعيد يحدثني كثيرا عن الأرجنتين إلى غاية أن تحققت رغبته بالتعرف على موطني الأصلي سنة 1964.

فعلا، فقد رافقني عندما قمت بزيارة عائلتي، وتمكن من التعرف على بيونس إيرس عاصمة الأرجنتين ومونتي فيديو عاصمة الأرغواي التي تبعد بضع ساعات عن بيونيس إيرس. بعدها اختار العودة إلى الجزائر عبر رحلة بحرية، في رحلة مدتها خمسة عشر يوما، في حين عدت أنا في الطائرة.

داومنا على الالتقاء سواء في منزلي أو في منزله. كما ذهبنا أحيانا لزيارة والدته في منزل والده. تربطنا حاليا صداقة منذ أكثر من ثلاثين سنة. نشأ أولادنا معا وإن كان ابني محمود يكبر ابنه فريد بسبع سنين.

عبد الرحمان (تغزوت)

لقد اعتمدت ترك الحديث عن عبد الرحمان في الآخر لأن مساره غير عادي. طبعا هو ليس استثناء، العديد من الجزائريين كان لهم مسار استثنائي، لكنني تحدثت كثيرا مع عبد الرحمان حول حياته وقد جذبتني كلماته إلى حد كبير.

ينحدر من منطقة القبائل من أسرة ريفية جبلية. كان صغيرا ودون تعليم عندما تعاطف مع الحركة الوطنية، بداية مع حزب الشعب الجزائري (PPA) و MTLD. في سن التاسعة عشر هاجر إلى فرنسا. سنة 1952 تم تجنيده بالقوة في فوج المشاة بمنطقة الألزاس. هناك تعرف على مجموعة من الوطنيين المغتربين الشباب. كانت هذه المجموعة على يقين بالمشكل الوطني الجزائري وعلى دراية بحروب التحرير في تلك الفترة مثل حرب الفيتنام فقاموا بتشكيل ستة مجموعات تستقبل سرا جريدة "الجزائر الحرّة" وتقوم بقراءتها والتعليق عليها. كما كانوا يمارسون نشاطا ضد التجنيد في الجيش الاستعماري الفرنسي. وعليه فقد كانوا عرضة لرقابة شديدة، حيث يتم فتح

رسائلهم وطرودهم من طرف الضباط. كما كانوا مجبرين على القيام بتمارين وبالمشي طويلا لإحباط عزيمتهم، إلا أن ذلك مكنهم من الاستفادة من تكوين عسكري لا بأس به.

كانت المجموعة تهتم بصفة خاصة بحرب العصابات التي كانت تلقن لوحدة المشاة استعدادا لتدخل الجيش الفرنسي في الهند الصينية. هذا ما رواه لي عبد الرحمان في هذا الشأن بعد الاستقلال: وأنقل روايته كما هي:

" خلال تمارين القتال في غابات الألزاس، كانت مجموعتنا المكونة كلية من الجزائرين، دائما تنتصر. كانت مقاومتنا الجسدية، إرادتنا وعزيمتنا تثير جنون الضباط الفرنسيين."

" في جويلية 1953، بعد عشرة أشهر من الخدمة الوطنية، اتصلت بمناضل في صفوف MTLD للانضمام إلى هذه الحركة. فقال لي أنه لم يحن الوقت بعد."

" سنة 1955، أراني نفس ذلك المناضل بيان أول نوفمبر 1954 وقدمني لمناضل آخر لننشط معا."

" بدأ هذا العمل بإحصاء كل مقاهي ومتاجر الجزائريين في مختلف شوارع باريس. بالإضافة إلى ذلك، كان علينا حماية

المسؤولين المكلفين بتوعية العمال الجزائريين. ونفس الشيء بالنسبة لموزعي المنشورات و جامعي الأموال."

" كان علينا في بعض الأحيان التدخل بحزم لدى بعض التجار المعاندين الذين يرفضون دفع الاشتراك أو كانوا يساندون الحركة الوطنية الجزائرية (MNA)."

" في جوان 1957، أعلمني مسؤولي أنه تلقى أوامر بإحصاء كل الشباب الذين أدّوا الخدمة العسكرية الإجبارية. تجندت بصفة إرادية، في شهر جويلية من سنة 1957، رفقة شباب آخرين، غادرت باريس باتجاه تيطوان مرورا بألمانيا ومدريد."

استقبلنا في تيطوان عبان رمضان. بعد حديث قصير، تم تعييننا لمتابعة درس في الاتصالات لمدة شهر. بعد ذلك أرسلنا إلى مركز التكوين العسكري في خميسات. هناك كان المسؤول يدعى عبد الحميد العربي معمر."

" بعد متابعتنا لتكوين عسكري مكثف كعناصر قتالية (كومندوس)، وجهنا لمركز التدريب في لعرايش، شمال المغرب. كنا تقريبا عشرة، وكان قائد المركز بوشاقور، الذي عوض في

نوفمبر 1957 من طرف سي حمو. ثم وصل مكونون آخرون من بينهم جمال، بلال، الماحي، جاب الله، زرهوني، ..."

" أصبح مركز لعرايش مدرسة عليا للإطارات. أنشأ ميدان تدريب، مضلع للرماية، قاعة رياضية وتعليم القتال وقاعة تعليم ... تلقينا هناك تكوينا عسكريا كاملا: استعمال الأسلحة، السير وتدريبات القتال في الليل. بالنسبة لكثير من الطلبة الشباب كان ذلك صعبا للغاية."

" كان معنا أيضا محاربون توجب إعادة تكوينهم. – كما تلقت مجموعة كانت مكلّفة بتنفيذ عمليات فدائية نوعية داخل فرنسا– تكوينا عسكريا رفقتنا كما كانوا يتلقون تدريبا خاصًا غير ذلك الذي يتلقاه الأفراد الذين سيتوجهون إلى الداخل نظرا لاختلاف أرض المعركة وطبيعتها، كان مسؤولو الثورة يقومون بزيارة رقابة: بوصوف، بومدين، بن طوبال ... كما زارنا أيضا الوفد الذي وقّع الاتفاق المغاربي في طنجة وعلى رأسهم فرحات عباس، رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. وحضرت لعرض عن قتال التلاحم من تقديم الطلبة."

" كان التكوين المتلقي ممتازا. في يوم من أيام شهر جويلية من سنة 1958، وفي حين كانت بعض الأفواج قد رحلت

في اتجاهات مجهولة، استدعى سي جمال مجموعة صغيرة كنت أنتمي إليها. أمرنا بالاستعداد فورا للرحيل."

" اعتقدنا جميعا أن هذا الاستدعاء هو ثمرة التكوين المكتسب، وأننا على وشك تدعيم مجموعات الداخل."

" كانت مجموعة الداخل مكونة من عزواو مبارك، طالبي رابح، حبشي مولود، مصباح أحمد وأنا، إضافة إلى آخرين لا أتذكر أسماءهم. تم نقلنا ليلا على متن شاحنة ووصلنا في الصباح إلى مزرعة صغيرة. كنا في مركز سوق الأربعاء، المسمى حينها مركز التجارب."

" كانت دهشتنا كبيرة عندما استقبلنا سي حمو الذي غادرنا منذ بضعة أشهر في مركز التدريب في لعرايش. تفقدنا رفقة هذا الأخير ورشات صناعة وتركيب القنابل اليدوية الدفاعية من النوع الإنجليزي، كما اطلعنا على المراحل الأولى لصناعة مدفع هاون من العيار الصغير."

" كان هناك في المركز حوالي ثلاثون مجاهدا يعملون على صناعة القنابل اليدوية. بعض التقنيين كانوا يتمتعون بكفاءة عالية: خراطين، عمال آلة الضغط، لحامين ومختصين في صناعة الألغام. كان هناك أيضا عائلة مازاري، الأم، الأب

والأبناء المكلفين بزراعة الأرض. في الحقيقة كان عملهم عبارة عن تغطية لنشاطات المزرعة."

" كان المركز مزودا بقاعة اتصالات يعمل فيها شخصان، لا يسمح لأحد بدخولها إلا المسؤولين. تم تعيين القادمين الجدد في مهام مختلفة. عينت أنا في فرقة الأمن رفقة ستة إخوة. لم أكن راضيا عن هذا التعيين، و رغم الصرامة التي كنا نخضع لها، أعلمت سي حمو برغبتي في الالتحاق بالمجاهدين في الداخل بما أن ذلك يناسب أكثر التكوين الذي تلقيته. رد علي سي حمو بطريقة أخوية وصارمة في آن واحد أن لا أحد يمكنه اختيار المكان والطريقة التي يخدم بها الثورة، وأن الوطنية والانضباط تستدعيان الامتثال الشامل لأوامر المسؤولين."

هكذا بدأ عبد الرحمان والمئات من المجاهدين كفاحهم في السرية التامة، مع ما يحمل ذلك من تضحيات، عزلة لعدة سنوات، بعد عن العائلة وعن ذويهم من الجزائريين.

حـفـيـظ

تعرفت عليه عند وصولي إلى بوزنيقة، لا أتذكر أني رأيته في سوق الأربعاء. كان مكلفا في بوزنيقة بتركيب الآلات.

أحتفظ بذكرى رائعة عن لقائنا. لازلت أتذكر ابتساماته وعناقه الأخوي.

كان حفيظ طويل القامة، ذو بنية متوسطة، مليئا بالحياة والنشاط. أظن أنه تكوّن كخراط، كان يعمل على ضبط آلات الخرط الأوتوماتيكية إضافة إلى آلات ميكانيكية أخرى. كان رئيس إحدى فرق صناعة القطع الميكانيكية بالسلسلة.

عند تطبيق اللامركزية، حول إلى مركز تامارا (في مدينة قنيطرة). عند قدومه كانت الآلة القديمة لصناعة المدافع معطلة. لهذا السبب تم إرساله رفقة زميل له يدعى لياني إلى مصر لاقتناء آلة جديدة، من طراز آخر، أحدث وأكثر تطورا. تم تركيب هذه الأخيرة في سوق الأربعاء و تمكنوا من صناعة عدد من مدافع الرشاشات قدرت بـ10.000 وحدة.

عند إعلان الاستقلال، كان حفيظ ولياني ضمن المجموعة التي أرسلت للتكوين في يوغوسلافيا. كانت عودتهما في فيفري 1963.

بانتهاء التجنيد، ذهب حفيظ للعمل في سوناطراك، في حين عاد لياني إلى يوغوسلافيا لمتابعة دراسته.

حتى بعد استقراري بالعاصمة، بقيت على اتصال بالرفيق حفيظ. وكنا نتبادل التعانق وتحضرنا الضحكات عند كل لقاء، وكنت أقول له:

" لا أعرفك وكان عليك إعطائي اليد اليمنى كذكرى عن الثورة". للتذكير كانت يده اليمنى تفتقد لأربعة أصابع، فقدها في حادث عمل أثناء الحرب التحريرية.

عبد القادر بوزيدي

كالعديد من الشباب، أتى عبد القادر من فرنسا. لا أعرف تماما مساره، لكن أظن أنه مرّ عبر ألمانيا، شأنه شأن جل الشباب المبحوث عنهم في تلك الفترة من طرف السلطات الفرنسية للقيام بالخدمة العسكرية الإجبارية.

إستطاع عبد القادر السفر إلى فرنسا في سن مبكرة بفضل تواجد أقارب له هناك. رغم كل الصعوبات التي واجهها في التراب الفرنسي إلا أنه تمكن من متابعة دراسته والحصول على شهادة تكوين مهني.

عند وصوله إلى بوزنيقة كانت له معرفة وبعض الخبرة في الميكانيك العامة. في تلك الفترة، كانت الآلات قد ركبت.

إن كبر عدد الطاقم في بوزنيقة لم يسهل وجوب احترام السرية. لهذا السبب تم اللجوء إلى اعتماد اللامركزية. وعليه حول عبد القادر إلى العمل في تامارا أين تتواجد كل آلات صناعة القطع الميكانيكية بالسلسلة. تم تعيينه رئيس فرقة. بقي

عبد القادر مع رفاقه محبوسين لمدة سنة في الورشة حيث قلّة الهواء وانعدام أشعة الشمس.

غداة إعلان الاستقلال، وقبل سفره إلى يوغوسلافيا، التقينا في المحمدية أين عملنا معا في تفكيك الآلات.

عند عودته من يوغسلافيا. التحق هو الآخر بسونلغاز. سريعا ما تم تحويله إلى مركزية الميناء 2، برتبة رئيس فرقة. وهكذا عملنا معا في هذه المؤسسة حتى سنّ التقاعد.

بشير مؤمن

بشير هو الآخر من بين الشباب الذين، ورغم كل الصعوبات التي فرضتها السيطرة الاستعمارية، إلاّ أنّهم تمكنوا من الحصول على شهادة التعليم الابتدائي. كما استطاع التسجيل في مدرسة تكوين مهني وتخرج بشهادة كفاءة مهنية.

حمل بشير شهاداته وسافر إلى فرنسا للبحث عن عمل واستقر في مرسيليا. هناك اتصل به مناضلو فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. عند اطلاعهم على مؤهلاته المهنية، اقترحوا عليه وضعها في خدمة الجزائر، بدون إعطائه تفاصيل أكثر. بعد الحصول على موافقته، تم نقله إلى ألمانيا أين اتصل بشخص يعمل في السفارة المغربية. وكان هذا الأخير وراء تنظيم سفره إلى المغرب.

استقبل بشير في مطار الدار البيضاء من طرف مسؤولي اللوجيستيك لجيش التحرير الوطني، وقام هؤلاء بمرافقته إلى

أحد مراكز صناعة الأسلحة، بتامارا والذي يتواجد في وسط مدينة قنيطرة. حينها لم يكن يعرف في أي مدينة يتواجد.

باشر بشير عمله في الورشة، ثم بعد فترة قصيرة تم تعيينه في مكتب التخطيط، وانضم بعد ذلك للفرقة المكلفة بتركيب الرشاشات.

بعد الاستقلال، أرسل مثل العديد من الشباب إلى يوغوسلافيا لمتابعة تربص لتحسين الخبرات.

عند عودته، في شهر فيفري 1963، بقي لمدة ثلاثة أشهر أخرى في الجيش قبل أن يتم تسريحه.

بعدها، عمل في سونلغاز، في مركزية الميناء، قبل أن يحوّل إلى مصلحة التجهيز التي لم يغادرها حتى بلوغه سن التقاعد.

مـــزيـــان

مزيان شخصية لا يمكن تجاهلها إذا ما أردنا الحديث عن الصحة في بوزنيقة، فأينما تواجدت مجموعة من الأشخاص والجنود، كان من الضروري توفر وسائل علاجهم عند الضرورة إذ أن مصالح الصحة العمومية والعيادات الخاصة لم تكن لتفي بهذا الغرض علما أننا كنا حينها نعمل في السرية التامة.

لهذا الغرض تم تهيئة ما يشبه عيادة، أين كان مزيان يشغل منصب المسؤول والممرض في آن واحد تحت إدارة الطبيب ماكاسي.

نصبت العيادة في فيلا كبيرة في الرباط، حيث خصص الطابق الأرضي للمناوبة والطابق الأول للعلاج. هناك تعرفت على مزيان.

بعد الاستقلال، التقينا عدة مرات بما أننا كنا ننشط ضمن جبهة التحرير الوطني في قسمة ساحة أول ماي بالجزائر العاصمة.

بـــونـــزو عـــلاوة

روى لي علاوة مساره النضالي قائلا:

" مناضل في جبهة التحرير الوطني ضمن فدرالية فرنسا منذ سنة 1955، تقلد عدة مهام إلى غاية سنة 1958، أين اكتشفت الشرطة الفرنسية نشاطي النضالي بسبب وشاية.

لهذا، ومع استحالة بقائي في فرنسا بسبب احتمال توقيفي، اقترح علي المسؤولون الذهاب إلى ألمانيا، مع إمكانية الالتحاق بصفوف المجاهدين، وكان ذلك هو مرادي.

عند وصولي إلى ألمانيا تكفلت بي تمثيلية الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المتواجدة في بون طيلة مدة إقامتي، علما أنها لم تكن مدة طويلة (حوالي شهرين)، ثم أرسلت إلى المغرب رفقة الأخوين سعدي عبد الحميد، حاليا عقيد متقاعد للجيش الوطني الشعبي، وخوري عبد المجيد، تقني اتصالات في أم البواقي.

عند وصولنا إلى المغرب مرورا بمدريد، استقبلنا من طرف مسؤولي التسليح ، الأخوين بوداود سي منصور

ولعباسي عزوز. قام هذان الأخيران بطرح بعض الأسئلة بخصوص قدومنا إلى المغرب. كانت إجابتنا ورغبتنا كالتالي: الالتحاق بالثوار الجزائريين.

بعد لحظات من التفكير، قال لنا سي منصور: "هنا أنتما تحت تصرف الثورة الجزائرية، ولا يمكنكما خدمتها إلا حسب احتياجاتها".

من هنا توجهنا إلى بوزنيقة أين التحقنا بالإخوة المكلفين بالتسليح المتواجدين هناك.

قدّمنا أفضل ما لدينا للثورة الجزائرية و إلى الجزائر.

كنت شابا في سن الـ 23، رياضي ولدي مستوى التعليم الثانوي، تابعت تكوينا تقنيا بفرنسا في الميكانيك العامة، وتخرجت بشهادة مهنية وشهادة محاسب.

مساري الثوري كالآتي:

في البداية كنت في مركز بوزنيقة، أين عملت على الخراطة العصرية (صينية) في صنع مغاليق الرشاشات، رفقة خطو علي.

ثم حولت إلى مركز تامارا (قنيطرة) للعمل على الآلة دائما، وعملت رفقة بوزيدي عبد القادر.

بعد ذلك أرسلت إلى الرباط للتكفل بإدارة وتموين المراكز، وتقلدت هذه المسؤولية لفترة من الزمن قبل أن أرسل إلى الدار البيضاء للقيام بمهمة التموين العام لجميع القواعد الخلفية لجيش التحرير الوطني الموجودة على الحدود الجزائرية – المغربية (وجدة).

بعد الاستقلال، أرسلت إلى يوغوسلافيا لتحسين تكويني في مجال صناعة الأسلحة والذخيرة. كنت مسؤولا عن المتربصين المتواجدين في تيتوفو- أبيز، إلى غاية مارس 1963. استدعينا للرجوع إلى الجزائر ثم تم تسريحنا من الجيش."

سـعـيـد أردونذ

روى لي سعيد مساره النضالي قائلا:

" ولـــدت في 18 جـــوان 1937 في بلديـــة صـــوامع (تيزي وزو).

في شـهر مـارس 1955 اتـصل بـي صـديق في بـاريس 5، وطلب مني النشاط السرّي ضمن فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. كان سني حينها 18 سنة وتسعة أشهر. بدأت عملي في التنظيم السري بجلب المناضلين الجدد، عقد اجتماعات إعلامية وجمع الاشتراكات، الخ.

في أكتوبر من سنة 1959، ألقي علي القبض في غرفتي من طرف الشرطة على الساعة السادسة صباحا، لعدم استجابتي لاستدعاء أداء الخدمة العسكرية الإجبارية.

أرسلت إلى ثكنة أنغولام لتلقّي تدريبي العسكري.

بعد مرور شهر تمكنت من الفرار والتحقت بباريس.

هنـاك قمـت بـالإجراءات الـضرورية لـدى الفدراليـة للالتحاق بالثوار في الجزائر.

في شهر ديسمبر سنة 1959، وجهت إلى فورباخ أين تكفل بـي مـسؤولو جبهـة التحريـر الـوطني، وبعـد يـومين وبمـساعدة عابري الحدود، غادرت فرنسا باتجاه ألمانيا، تحديدا إلى مدينة بون.

بعد قضاء شهر في بون، جمعنا الدكتور ألبرتو (جزائري ينشط تحت هذا الاسـم) رفقة ثمانيـة مناضـلين آخـرين لإعلامنا بمهمتنا نحو المغرب.

قبـل انطلاقنـا سـلم الـدكتور لكـل واحـد منـا جـواز سـفر وحقيبـة قـد تحتـوي علـى أسـلحة. كمـا سـلمني ظرفـا لأسـلمه بدوري إلى المحافظ دندان في الدار البيضاء.

سـافرنا إلى إسـبانيا علـى مـتن طـائرة تابعـة لـشركة لوفتانزا، ثم اتجهنا نحو الدار البيضاء على متن طائرة للخطوط الملكيـة المغربيـة. بمجـرد وصـولنا علـى الـساعة الثامنـة مـساء، طلبت مقابلة المحافظ دندان. نظرا لغياب هـذا الأخير قـام نائبـه بالتكفـل بنـا بعـد أن اتـصل هاتفيـا برئيـسه. كلمـت المحـافظ

بخصوص الحقائب والظرف الذي كان عليّ تسليمه، وطلب مني أن أسلم نائبه الحقائب والظرف.

بعد الانتهاء من ذلك توجهنا نحو الرباط على متن سيارتان، هناك أقمنا في فيلا. في نفس اليوم واصلنا طريقنا إلى بوزنيقة.

في بوزنيقة وجدنا جنودا آخرين يشرفون على صناعة الأسلحة. في الغد عينت كعامل ضبط صانع الآلات (بما أنها كانت مهنتي)، وعليه عملت مع عمال ضبط آخرين كمهدي علي، سليمان عاشور، بلال، محمود (الأرجنتيني) تحت مسؤولية الأخ عدى محمد الشريف.

أثناء تطبيق مخطط اللامركزية، غادرنا بوزنيقة نحو المحمدية ثم سخيرات وبقيت هناك إلى غاية الاستقلال.

ذهبت مجموعتي برئاسة الأخ بونزو علاوة إلى يوغوسلافيا في مدينة تيتوفوأزيسي، لصناعة الذخيرة. بعد ستة اشهر تم استدعاؤنا للعودة إلى الجزائر، في ثكنة بلكور (الترسانة سابقا)، أين بقيت حوالي شهرين وبطلب مني تم تسريحي من الجيش".

المسؤولون

من الواضح أن كل عمل وكل إنجاز يستلزم جهدا حاسما من طرف المسؤولين، ليس فقط على مستوى مراكز الإنتاج ولكن أيضا في الخارج. ففعالية عملنا وأهميته كانت مرتبطة بالتموين بالأجهزة والمواد المقتناة من الخارج.

اليوم، العديد من الناس يعرفون أن المسؤول الرئيسي كان العقيد سي مبروك (عبد الحفيظ بوصوف)، الذي كان حينها وزير التسليح والعلاقات العامة. وهو المسؤول الأعلى، وفي كل مركز كان هناك مسؤول عسكري ونائبا له. كان بإمكان المسؤول الخروج والمحافظة على الاتصال مع المسؤولين الآخرين، وحضور اجتماعات دورية للتنسيق مع المراكز الأخرى.

لم تكن مهمة هؤلاء المسؤولين سهلة. كانت تنقلاتهم تتم في السرية التامة، وفي حالة مراقبتهم، كان عليهم إثبات ممارستهم لنشاط قانوني أو وظيفة حقيقية للتمويه.

تعرفت على عدة مسؤولين مثل مصطفى ناضور في سوق الأربعاء. في بوزنيقة كان المسؤول الرائد عبد القادر، جيلالي في سخيرات، وسيد علي في تامارا. كان هناك مسؤولون إداريون مثل علي المحاسب وآخرين يتكفلون بالتسيير. كان هؤلاء المسؤولون يقيمون في المدينة.

كان الجميع يخضع لتوجيهات مسؤول مكلف بمنطقة، الغرب: سي بوبكر، واسمه الحقيقي محمد بوداود. أما نائبه فيدعى عزوز.

كما لاحظت أن المسؤول عن المسائل الصحية كان الدكتور ماكاسي، في حين كان عمي شريف (شريف باطوش) يتكفل بالمسائل القانونية.

مجاهدو التسليح داخل المرقد

وللتدريبات الرياضية نصيب

مجاهدو التسليح جلّهم في ريعان الشباب

في ورشة تركيب الأسلحة :

آرزقي ، سعيد ، طالبي ، الطاهر

في ورشة تركيب الأسلحة :

آرزقي ، سعيد ، مولود

الخـــاتـــمـــة

كـان لـدي يقـين راسـخ أن الـشعب الجزائـري بإمكانـه تخطي كل الصعوبات. فقد تمكن جيش التحرير الوطني الذي خـرج مـن صـفوف هـذا الـشعب، وفي ظـروف جـد صـعبة، مـن صـناعة أسلحته الخاصـة ومـن اسـتعمالها وهـو يخـوض الثـورة التحريريـة، اسـتطاع التغلـب علـى الآلـة الحربيـة الضـخمة الـتي بسطها ضده المستعمر الذي حرمه من حقّه في الاستقلال.

القيام بالحرب من أجل الحصول علـى الاسـتقلال مـا هـو إلا جزء من الكفاح، إذ أن مائـة وثلاثـين سـنة مـن الاسـتعمار قـد تركت آثارا خطيرة؛ ظنّ المستعمر أن عودته ستكون سـريعة لأن الجزائـريين بأنفـسهم سـيلجؤون إليـه. لم يأخـذ في الحـسبان القـدرة الهائلـة للجزائـريين لمواجهـة، وبوسـائلهم الخاصـة، الـصعوبات الجمّـة الـتي يـستلزمها إعـادة بنـاء بلـدهم. قـام الجزائريـون بـذلك بفـضل جهـود خارقـة، ولكـنهم لم يستسلموا أبدا.

يكفي أن نعلم أنه غداة الاستقلال كان 95 بالمائة من الجزائريين و98 بالمائة من الجزائريات أميّين. ما هو عدد الأطفال و المراهقين الذين يقصدون المدارس اليوم؟ إنهم بالملايين.

اليوم، وعلى الصعيد الاقتصادي، كانت الجزائر تعتمد كلية على الخارج. فالمستعمر الفرنسي و لفرض سيطرته، زوّد نفسه بنظام اقتصادي خاص. كانت زراعة الكروم تهيمن على الفلاحة، ووحدهم المستعمرون يستفيدون من خيرات الأرض الجزائرية، ويضعون ثرواتهم في البنوك الفرنسية.

لقد تطلّبت عملية إعادة بناء البلد جهدا كبيرا، لكن جزائر اليوم تختلف كثيرا عن جزائر 1962. لا أحد يمكنه أن ينكر ذلك: لا يخفي الزوار الأجانب الذين عرفوا البلد غداة الاستقلال والذين عادوا في زيارة للجزائر، إعجابهم بما تحقّق وبحجم الإنجازات في كل الميادين..

إلا أن جزائر اليوم تواجه صعوبات ناجمة عن ظروف دولية سلبية. للخروج من هذه الأزمة ليس هناك أفضل من تجميع جهود الجميع ومساهمة كل أبناء الوطن. ولا شك في أن البلاد ستستعيد ابتسامتها وازدهارها.

في نهايـة هـذه الـشهادة، أود أن أعـبر عـن افتخـاري وفرحتي لكوني شاركت في الكفاح التحرري؛ وإنه لشرف لي أن أقـدم مـساهمتي البـسيطة في مجهـود إعـادة البنـاء الـذي سمـح للجزائر من تحقيق تطّور كبير في جميع المجالات.

ملحق

ETAT ALGERIEN
-:-
BUREAU POLITIQUE
-:-
AFFAIRES MILITAIRES
-:-
32 AM

- LAISSEZ-PASSER -

Le Frère ...ROBERTO......MUÑIZ..................
est autorisé à circuler librement sur tout le territoire National.

Les autorités algériennes civiles et militaires sont priées de lui faciliter ses déplacements.

ALGER, le 17 Septembre 1962

P.o. M. HADJ BENALLA, Membre du Bureau Politique
DÉLÉGUÉ AUX AFFAIRES MILITAIRES

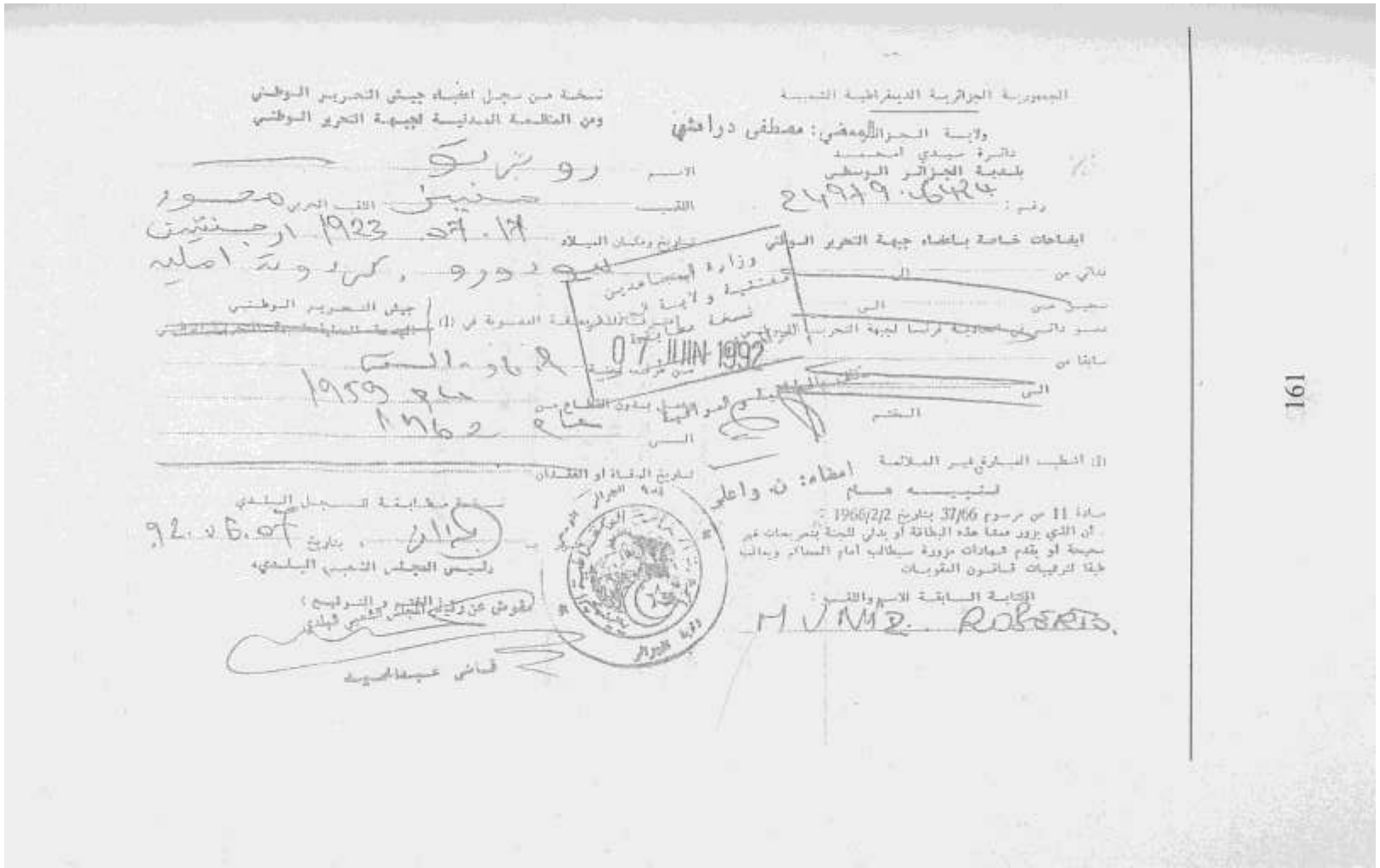

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية الجزائر: مصطفى دراعشي
دائرة سيدي امحمد
بلدية الجزائر الوسطى

رقم: 0.6424 24979 ج

نسخة من سجل اعضاء جيش التحرير الوطني
ومن المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني

الاسم: روبرتو

اللقب: حسين — اللقب الحربي: منصور

تاريخ ومكان الميلاد: 17.07.1923

ايضاحات خاصة باعضاء جبهة التحرير الوطني

بتاريخ من .... الى ....

سجين من .... الى ....

عضو دائم في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني .... في (1) جيش التحرير الوطني

سابقا من .... الى ....

الرتبة

المقر

الرتبة في 1959

السن 1962

(1) اشطب البيان غير الملائم

تاريخ الوفاة او الفقدان

تنبيه هام

مادة 11 من مرسوم 37/66 بتاريخ 1966/2/2:
ان الذي يزور عمدا هذه البطاقة او يدلي للجنة بتصريحات غير صحيحة او يقدم شهادات مزورة سيطالب امام المحاكم ويعاقب طبقا لترتيبات قانون العقوبات

الكاتبة السابقة الاسم واللقب: M. JUNE. ROBERTS.

امضاء: ن واعلي

وزارة المجاهدين
نسخة مطابقة
07 JUIN 1992

نسخة مطابقة للسجل البلدي
رئيس المجلس الشعبي البلدي .... بتاريخ 92.06.07

مفوض عن رئيس المجلس الشعبي البلدي (الختم والتوقيع)

قاضي عبد الحميد

REPUBLIQUE ALGERIENNE
F.L.N. - A.L.N.
ETAT - MAJOR GENERAL

(Formation)

N°

ORDRE DE MISSION

Le Nomme ROBERTO-MUÑIZ

Fonction ~~ou grade~~ AJUSTEUR-MATRI-S-E

Accompagné de ______ personnes

Est autorisé à se rendre à ALGER ($ BURAU POLITIQUE)

Objet de la mission 'EN SERVICE

Moyen de locomotion TOUT MOYEN

Observations

Aux Armées, le 13-9- 1962

Le 6.DE.

[illegible] Mod. N° 11

RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE
F.L.N.A. - A.L.N.A.
ÉTAT-MAJOR GÉNÉRAL

WILAYA 5
ZONE

N°

aux Armées le 14/9/62

PERMISSION

Le Combattant : Roberto Muñiz

Fonction : [illegible]

Durée de la permission : 48 H à Alger

Date départ : le 15/9/62

Date retour : le 18/9/62

Observations : Est autorisé à se rendre au Bureau politique pour affaires le concernant.

[illegible]

AUX MERES DES ENFANTS MORTS POUR QUE VIVE L'ALGERIE

Ne pleure pas ma sœur
Sèche tes larmes,
L'Algerie vit grâce à ses fils,
Parmi eux, ton fils.

Il est parti à jamais,
Combien d'autres encore
Avant que leurs assassins
Reviennent à la raison.

Il était chère ton fils,
Il est dur de penser au passé,
Qui d'autres qu'une mère
Peut te comprendre ?

Existent-ils des mots pour te consoler ?
Je ne crois pas, je voudrais te dire respectueusement,
Que ton fils a fait honneur et gloire a nos martyres.

Il a défendu l'Homme de nos montagnes
Avec leurs caractères dur et rationnel.
Il a défendu l'Homme du sud,
Celui qui sait trouver les richesses
Quand pour d'autres, c'est le néant.

Il a défendu l'Homme de la plaine,
Le fellah ou le fonctionnaire laborieux
Tous libéres de la peur
Et confiant dans l'avenir.

Il a défendu toutes les mères,
Pour qu'elles continuent
A perpétuer nos traditions,
A nous bercer dans leurs rêves
A faire de nous des êtres sincéres,
Jaloux de nos traditions révolutionnaires
A être impitoyables pour notre liberté.

Ton fils a défendu l'Algerie
Ton fils, est le fils de l'Algerie
Il est dans le sang de chaque Algérien,
Il restera dans nos pensées
Pour nous rappeler
Le prix de notre LIBERTE.

Roberto MUNIZ
(Mahmoud L'Argentin)

Direction des Affaires Judiciaires

Sous-Direction des Affaires Civiles

Bureau de la Nationalité

N° 122

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

-:-:-:-:-:-:-:-

MINISTERE DE LA JUSTICE

-:-:-:-

A R R E T E

d'acquisition de la Nationalité Algérienne

Le MINISTRE DE LA JUSTICE, GARDE DES SCEAUX,

Sur le rapport du Directeur des Affaires Judiciaires,

Vu la Loi N° 63-96 du 27 Mars 1963 portant code de la nationalité algérienne,

Vu la déclaration d'option pour la nationalité algérienne formulée par le ci-après nommé , en date du 7 Mai 1963

A R R E T E :

Article 1er: Acquiert la nationalité algérienne et jouit de tous les droits attachés à la qualité d'Algérien, dans les conditions de l'article -6- de la Loi N° 63-96 du 27 Mars 1963 portant code de la nationalité algérienne:

1. [illegible] Roberto, dit Mahmoud,-
né le 17 Juillet [illegible] à Gl. Villegas, Argentine,-
fils de Teodoro,
et de CARDONA Emilia,
employé à l'E.G.A.-
demeurant à Alger, 52 Rue d'Ancourah,-

Article 2: Le Directeur des Affaires Judiciaires est chargé de l'exécution du présent arrêté qui sera publié au Journal Officiel de la République Algérienne, Démocratique et Populaire.

Fait à Alger, le 4 Juillet 1963

Le MINISTRE DE LA JUSTICE
GARDE DES SCEAUX,

SIGNE
A. BENTOUMI

Pour ampliation
LE DIRECTEUR DES AFFAIRES JUDICIAIRES

A. [illegible]

MINISTERE DE LA JUSTICE

فهرس المواضيع

العنوان	الصفحة
الاهـداء.....	05
تـقديم مدير المركز د. جمال يحياوي.....	07
الكاتب.....	09
تـقديم (الطبعة الفرنسية).....	11
مـقـدمـة.....	13
إضراب الـ: 45 يوما	17
لـجـان التـضامـن.....	22
التحضيـر للسفر إلى الجـزائـر.....	23
الـوصـول.....	25
الاتصالات الأولى.....	26
فـي مـزرعـة بوزنيقـة.....	30
الصيف في المعسكر.....	52
إقـتـراب الـنـصر	68
الدخول إلى الجزائر.....	75
أولائـك الوطنيـون " جـنـود الخـفاء".....	88
بول (عيسى)	89
ألبـيـو (بـوم)	91
ويـم.....	93
بـروش.....	94
ماكس – مـخـتار–	95
تيـو.....	96
مـراد.....	97
مـحـمد خـدّاش.....	99

حميد	101
دزيري	103
يوسف "يويو"	105
أخام	106
السعيد وردان (عمّي السعيد)	108
بلال (عبد القادر)	110
محمد عدّة	111
خايلي	112
الطيب (الوسيم)	114
رابح (فولفو)	116
رحماني	119
إسماعيل (مصباح)	122
سعيد (طوطاح)	124
يزيد (أيت محند حسن)	126
سعيد (أرزقي مسعودان)	128
عبد الرحمان (تغزوت)	131
حفيظ	137
عبد القادر بوزيدي	139
بشير مؤمن	141
مزيان	143
بونزو علاوة	144
سعيد أردونذ	147
المسؤولون	150
الخاتمة	157